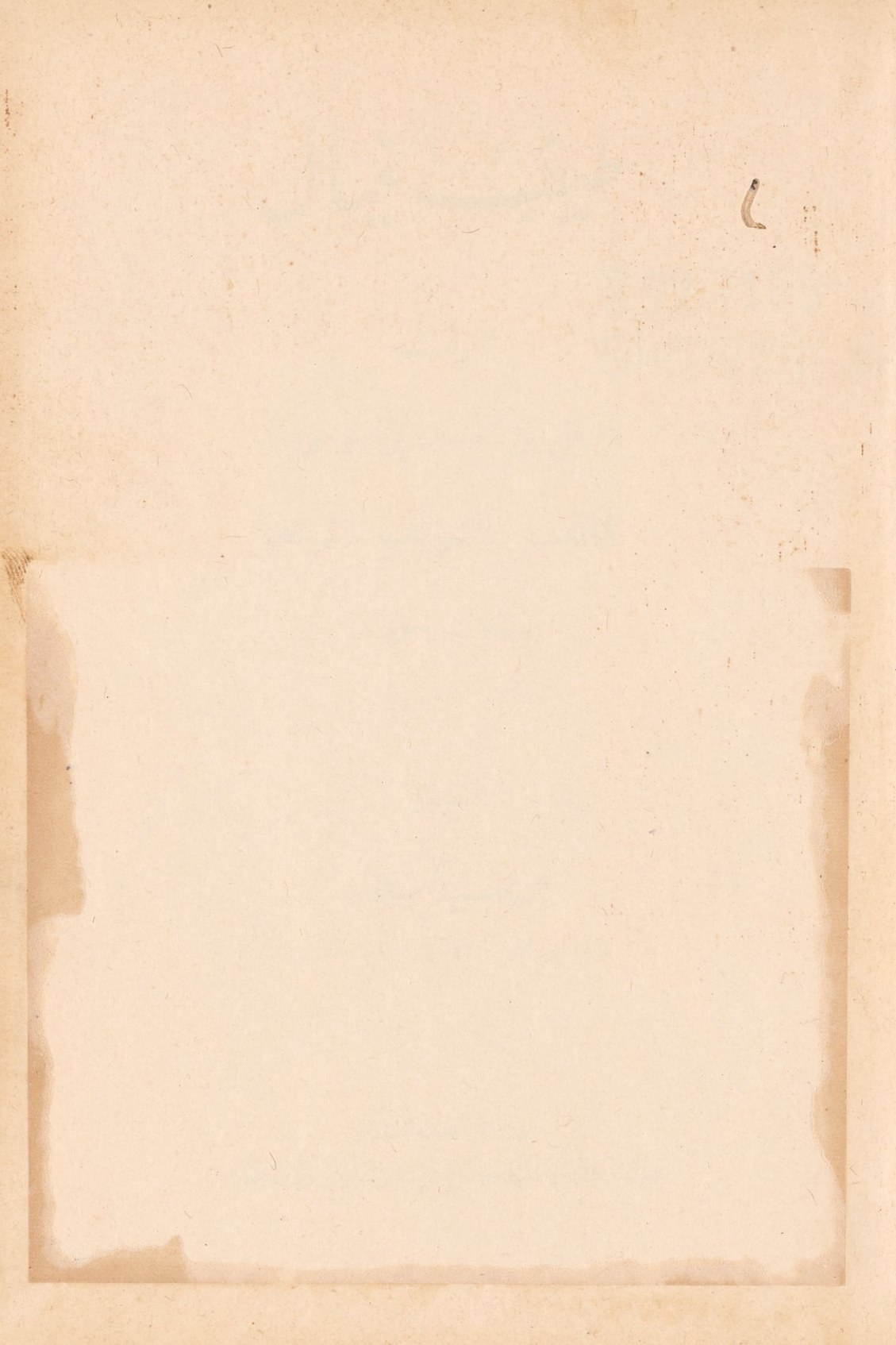


١٥

١٥

تجليد صالح الدقر
تلفون ٢٢٩٧٧



طيف النخيل

تأليف

على بن الحسين بن موسى

الملقب بالشریف المرتضى

٣٥٥ — ٤٣٦ هـ

تحقيق

محمد سيد كيلاي

ماجستير كلية الآداب بجامعة القاهرة

ملتزم الطبع والنشر

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

الطبعة الأولى

١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

(حقوق الطبع محفوظة)

إهداء الكتاب

إلى العالم الجليل الأستاذ الدكتور طه حسين :
طالعت كثيرا جدا من سير الأدباء الغابرين والمعاصرين ،
فلم أر من ضارعتك في كرم أخلاقك ، ولا من نفع الناس
كما نفعتهم بعلمك ، فأنت تعيش ، لغيرك ، أكثر مما تعيش
لنفسك ، إنك فلتة من فلتات الزمن .

ولإعجابي بكم ، أهدي هذا الكتاب إليكم .

المخلص

محمد سيد كيلاني

تقديم

كتاب « طيف الخيال » للشريف المرتضى ، من الكتب القيمة التي تنشر لأول مرة ، عن نسخة شمسية ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم « ١٠٣١٣ ز » ، مأخوذة عن نسخة خطية بمكتبة الأسكوريال ، صفحاتها ثمان ومئتا صفحة من الحجم الصغير ، جيدة الخط ، فرغ من كتابتها سنة إحدى وتسعين وخمسمائة هجرية . وقد جاء على غلافه أنه للشريف الرضى . وسجلته دار الكتب في فهرسها على أنه للشريف الرضى كذلك ، ولكن القارئ سيدرك من أول وهلة ، أن هذا الكتاب من تأليف الشريف المرتضى . فالمؤلف يشير إلى كتابه « الشهاب ، في الشيب والشباب » . وهذا الكتاب كما نعلم للمرتضى ، ثم ينقل عن أخيه شعرا وأخبارا ، بعد أن يترحم عليه . ومعلوم أن الرضى مات قبل أخيه المرتضى .

ونرى في هذا الكتاب موهبة المرتضى في نقد الشعر وفهمه

وتذوقه . وردوده القوية على الأمدى ، تدل على لفتات بارعة ، ونظرات موفقة . وفي الكتاب جملة من شعر المرتضى ، الذى ضاع ولم يبق منه إلا القليل ، وفيه فوائد أدبية جمة .

أما موضوع الكتاب فهو « طيف الخيال » الذى أكثر الشعراء من ذكره فى قصائدهم الغزلية . وهو موضوع طريف حقا . فقد كان الشاعر العاشق الولهان ، الذى حالت الظروف بينه وبين محبوبته ، يظل مشغولا بهذه المحبوبة ، دائم التفكير فيها . فلذلك كان يراها فى النوم ، وينال منها ما يشاء . ثم يتحدث عن ذلك فى شعره . فالحديث عن « طيف الخيال » هو حديث عن أحلام كل شاعر بمحبوبته ، وقد أكثر هذا فى الشعر العربى ، حتى صار موضوعا يحتاج إلى دراسة مستقصية منظمة . ولعل المرتضى أول من تناول هذا الموضوع فى كتاب مستقل ، ولكنه لم يستقص كل ما ورد فى الشعر عن طيف الخيال ، بل قصر كلامه على شعر أبى تمام والبحترى ، وشعره وشعر أخيه الرضى ، وإن كان قد أشار إلى أبيات قليلة لبعض شعراء آخرين ، مثل قيس بن الخطيم ، والنمر بن توبل ، ووازن بين معانى هذه الأبيات وبين ما ورد عند البحترى وأبى تمام .

أما مؤلف هذا الكتاب ؛ فهو أبو القاسم على بن الحسين بن موسى الملقب بالمرتضى .

ولد ببغداد سنة ٣٥٥ هـ ، وبدأ حياته الدراسية بحفظ القرآن على يدي

أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري "الفقيه المالكي". ثم درس على أبي عبد الله محمد بن النعمان الفقيه الإمامي، الملقب بالشيخ المفيد، وبابن المعلم، بمسجده بالكرخ.

وكان المفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ فقيه الشيعة الإمامية في عصره، متبحراً في كثير من العلوم، مبجلًا محترماً، صاحب منزلة رفيعة عند الملوك والأمراء البويهيين، حتى إن عضد الدولة كان يزوره. ومن تلاميذه الرضى والمرضى وأبو جعفر الطوسي. وكانت مجالسه حافلة بالعلماء من سائر الطوائف.

وقد ذكره صاحب النجوم الزاهرة^(١) بقوله: « وفيها - ٤١٣ - توفي محمد بن محمد النعمان أبو عبد الله فقيه الشيعة، وشيخ الرافضة وعالمها، ومصنف الكتب في مذهبها. قرأ عليه الرضى والمرضى وغيرهما من الرافضة. وكان له منزلة عند بني بويه وعند ملوك الأطراف الرافضة ».

وتلقى المرتضى الاعتزال على يد قاضى القضاة، عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار، أحد شيوخ المعتزلة في عصره، ومؤلف كتاب « المغنى » الذى عرض فيه لتاريخ أبى بكر وعمر وعثمان. وقد ألف المرتضى كتاباً سماه

« الشافى » ردا على كتاب المغنى . وقد تضمن هذا الكتاب - كما يظهر لنا مما نقله ^(١) ابن أبى الحديد فى شرحه - مطاعن فاحشة فى الخلفاء الثلاثة بلغت حد إخراجهم من زمرة المسلمين . وهذا ما حمل صاحب النجوم الزاهرة على إطلاق لسانه فى المرتضى وأخيه . وقد توفى عبد الجبار سنة ٤١٥ بعد أن عمر طويلا .

أما النحو وعلوم اللغة فقد تلقاها عن أبى على الفارسى المتوفى سنة ٣٧٧ ، وابن السيرافى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، وابن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ، وعلى بن عيسى الرّبعى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ .

وكان المرتضى على جانب من الثراء ، مكن له من التفرغ للعلم . وقد آلت إليه نقابة الطالبين بعد وفاة أخيه الرضى . وقد وصفه الثعالبى ^(٢) بقوله « نقيب العلويين أبو القاسم الملقب بالمرتضى ، علم الهدى ، السيد المشهور بالعلم ، المعروف بالفهم » .

وذكر ياقوت عن أبى جعفر الطوسى أنه قال ^(٣) : « توحد المرتضى فى علوم كثيرة ، جمع على فضله ، مقدّم فى العلوم مثل علم الكلام ، والفقه ،

(١) - ١ ص ٢٢٠ وما بعدها ط مصطفى الحلبي .

(٢) - تمة اليتيمة - ١ ص ٥٣ طهران .

(٣) - معجم الأدباء - ١٣ ص ١٤٧ دار المأمون .

وأصول الفقه ، والأدب ، والنحو ، والشعر ، ومعانى الشعر ، واللغة ، وغير ذلك . وله ديوان شعر يزيد على عشرة آلاف بيت » .

وينسب المرتضى إلى البخل والحرص على المال^(١) . وقد حدث أنه ذهب لزيارة الوزير أبى محمد المهلبى ، فلم يحتفل بقدمه احتفاله بقدم أخيه الرضى ، حينما زاره عقب انصراف أخيه .

فلما سئل الوزير عن السر فى ذلك ، قال : إنا أمرنا بحفر النهر الفلانى وللشريف المرتضى على ذلك النهر ضيعة ، فتوجه عليه من ذلك مقدار ستة عشر درهما أو نحو ذلك ، فكاتبنى بعدة رِقايع يسأل فى تخفيف ذلك المقدار .

وأما الرضى فبلغنى ذات يوم أنه ولد له غلام ، فأرسلت إليه بطبق فيه ألف دينار فردّه ... الخ » . وهذه القصة رواها ابن أبى الحديد مع اختلاف يسير .

وجلُّ المؤرخين الذين عرضوا لهذين الرجلين ، يقدمون الرضى على المرتضى . ولا أدرى ما الذى دعاهم إلى هذه المقارنة ، إذ لا يجوز أن يرفع الرضى على حساب أخيه .

وكانت تحدث أحيانا بين المرتضى وأخيه حنوة وقطيعة ، فيبدأ المرتضى
بنظم قصيدة يعاتب فيها أخاه ، فيرد عليه بقصيدة ، ثم لا يلبث الصفاء أن
يعود بين الأخوين ، فيخرجان مع بعض أصدقائهما للتنزه ، أو يجتمعان في
مجلس أنس وطرب ، أو مجلس علم .

وكان المرتضى يحب أخاه حباً جما ، حتى إنه لم يستطع أن ينظر إلى
تابوت أخيه حين توفي أو يحضر دفنه ، بل مضى إلى مشهد موسى
ابن جعفر الكاظم ، وبقي به إلى آخر النهار ، إلى أن ذهب الوزير فخر الملك
أبو غالب ، وألزمه العودة إلى داره .

وقد نظم الشريف المرتضى شعرا كثيرا في الشيب وذمه ، وألف
كتابا خاصا سماه : « الشهاب ، في الشيب والشباب » .

دم الرضى المرتضى
للشيب

ومن قرأ شعر أخيه الرضى وجده يكثر من ذكر الشيب وذمه .

وهكذا اشترك الأخوان في هذا الباب ، وسارا معا على وتيرة
واحدة . فكل منهما يرى أن الشيب باب إلى الموت ، وطريق
إلى القبر . وهما يسخران من الوقار الذى يصحب المشيب ، ويريان أنه
لا خير فيه .

وفى شعرهما الغزلى تشابه فى المنهج والأسلوب واشتراك فى المعانى

فكلاهما تغزل بالأعرايات ، وذكر نجدا والخيام ، وأرض بابل والنسيم
وغير ذلك .

ومن مؤلفات المرتضى التى وصلت إلينا :

١ — الأملى ، وهو أشهر كتبه .

٢ — الشهاب ، فى الشيب والشباب — طبع فى الأستانة

سنة ١٣٠٢ هـ .

٣ — طيف الخيال الذى نضعه بين يدى القارىء .

والمرتضى شديد الإعجاب بشعره ، كثير الإطراء له ، يزعم أنه أتى

فى هذا الباب بما لم يسبق إليه .

أما بعد : فإنى أرجو أن يستفيد القراء من هذا الكتاب ، والله

الموفق .

محمد سيد كهرنى

القاهرة فى { ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٧٤ هـ
{ أول فبراير سنة ١٩٥٥ م

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله على ما أعطى من فهم ، وآتى من علم ، وصفى من بصيرة ،
وعفى من جريرة ، ويسر من طلب ، وسنى من أدب ، وصلى الله على
سيد المرسلين نبيه محمد وآله الطاهرين ، صلاة تكون لحقوقهم كفؤا
ووفاء .

ومن بعد ، فإننى وقفت على ما ذكرته ، أمدك الله بتوفيقه
وتسديده ، من شغفك بما اطلعت عليه من كتابى فى « الشيب » وإعجابه
لك ، وإطرابه إياك . وأنت استغزرت فأدته ، واستغربت طريقته ،
ودعاك ماوقفت عليه منه ، إلى التماس كتاب فى أوصاف « طيف الخيال » .
نسلك فيه هذا المنهج ، ونخرجه هذا الخرج ، فإنه أيضا باب قائم
بنفسه ، قد أطل الشعراء فيه وأقصروا ، وأصابوا وأخطئوا ، وتصرفوا

وتفننوا . وقد رأيت الإجابة إلى سؤالك ، على ضيق زمانى وقلبى ،
وكلال فكرى ، وكثرة هموم صدرى ، وأن أعتمد على إخراج ما فى
ديوانى الطائين ، ثم ما فى ديوانى شعرى وشعر أخى ، نضر الله وجهه ،
وأحسن منقلبه ، فأنقله على جهته ، من غير إخلال بشيء منه ، وأتكلم
على معانيه ومقاصده ، منظرًا بين نظائره ، كاشفاً عن دوائنه
وسرائره ، حسبما فعلته فى كتاب « الشيب » . ولأبى تمام فى هذا
المعنى التافه اليسير ، فإنه ما غنى به ، ولا رزق منه . أما البحتريّ فإنه
كان مغرماً متياً بالقول فى الطيف ، فأكثر فيه وأغزر ، مع تجويد وإحسان
وافتنان ، وتصرف فيه تصرف المالكين ، وتمكن منه تمكن
القادرين . وسأنبه على مواقع إحسانه ، ومواضع إغرابه ، بإذن الله .

ومما يفيد تقديمه أن « الطيف » قد يوصف بالمدح تارة ، وبالذم
أخرى . ولمدحه وجوه متشعبة .

فما يمدح به أنه يعلل المشتاق المغرم ، ويمسك رَمَقَ المعنى المسقم ،
ويكون الاستمتاع به والانتفاع به ، وهو زور وباطل ، كالاتّفاع
لو كان حقيقياً . وهل فرق بين لذة الخيال فى حال تمثيلها وتخيلها ،
وبين لذة اللقاء الصحيح ، والوصال الصريح . وبعد زوال الأمرين ، ومفارقة
الحالين ، ما أجدهما فى فقد متعته ، وزوال منفعته ، إلا كصاحبه .

ومما يمدح به ، أنه زياره من غير وعد يخشى مَطْلَه ، ويخاف لَيْه وفوته . والذاتى لم

تحتسب ولم ترتقب، يتضاعف بها الالتذاذ والاستمتاع ، وأنه وصل من قاطع ، وزيارة من هاجر ، وعطاء من مانع ، وبذل من ضنين ، وجود من بخيل . وللشيء بعد ضده من النفوس موقع معروف غير مجهول .

ومن مליح مدحه وغريبه : أنه لقاء واجتماع لا يشعر الرقباء بهما ، ولا يخشى منع منهما ، ولا اطلاع عليهما . والهمة بهما زائلة ، والريبة عنهما عادلة .

وأنه تمتع وتلذذ لا يتعلق بهما تحريم ، ولا يدنو إليهما تأثيم ، ولا عيب فيهما ولا عار ، وقد قاما مقامهما فيه ذلك أجمع . وهذا المعنى الأخير مما عندى أنى سابق إليه ، ومبتدى به ، لأننى مارأيت به إلى الآن لأحد فى نظم ولا نثر . وقد تعجب الشعراء كثيرا من زيارة الطيف على بعد الدار ، وشحط المزار ، ووعدة الطرق ، واشتباه السبل ، واهتدائه إلى المضاجع من غير هاد يرشده ، وعاضد يعضده ؛ وكيف قطع بعيد المسافة بلا حافر ولا خف ، فى أقرب مدة ، وأسرع زمان ؟! لأن الشعراء فرضت أن زيارة الطيف حقيقة ، وأنها فى النوم كالليقظة ، فلا بد مع ذلك من العجب مما تعجبوا منه ، من طى البعيد بغير ركاب ، وجوب البلاد بلا صحاب . ومن المعانى المقصودة فى الطيف ، أن يلم بذكر ماهيته وسببه ، والمقتضى لتخيله وتصوره ، كما قال أبو تمام :

نم فما زارك الخيالُ ولكنك بالفكرِ زرتَ طيفَ الخيالِ

وكما قلت :

وَعَهْدِي بِمَوِيهِ عَيْنِ الْحَبِّ تَمُّ عَلَى قَلْبِهِ الطَّائِرِ
فَلَمَّا التَّقَيْنَا بِرِغْمِ الرُّقَا دِمَوَّةَ قَلْبِي عَلَى نَاطِرِي

وهذا المعنى أيضا ، مما ابتدعته واخترعه في وصف الطيف ، لأنتى
ما علمت سابقا إليه ، وعائرا به .

فأما ذم الطيف ، فإنه قد يذم بأنه باطل وغرور ، ومحال وزور ،
ولا انتفاع بما لا أصل له ، وإنما هو كالسراب اللامع ، وكل
تخيل فاسد .

وربما ذم بأنه سريع الزوال ، وشيك الانتقال ، وبأنه يهيج
الشوق الساكن ، ويضرم الوجد الخامد ، ويذكر بغرام كان صاحبه
عنه لاهيا وساهيا .

وهذه المعانى فى المدح والذم قد تتشعب وتتركب وتمتزج ، فيتولد
بينها من المعانى ما لا ينحصر ولا ينضبط ، بحسب قوة طباع الشاعر ،
وصحة قريحته وغريزته . وستشرف مما أذكره ، وأوقظ على معانيه ، وأخرج
مكامنه ، على جميع ما تحتاج إليه فى هذا الباب ، بمشيئة الله تعالى . ومن الله
أستمد المعونة والتوفيق ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

ما جاء في طيف الخيال

قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، من جملة قصيدة :

زار الخيال لها ، لا بل أزاركه فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم
ظبي تقنصته لما نصبت له من آخر الليل أشراكا من الحلم
ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم باق وإن كان معسولا من السقم^(١)

ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الأمدى يتكلم على هذه الأبيات بما أنا أذكره ، ومبين مافيه . قال : (إن قوله « زار الخيال لها ، لا بل أزاركه » ليس بالجيد ، لأنه إذا أزاره الفكر فقد زار . فما وجه الاستدراك ؟ فكأنه أراد أن الخيال لم يعتمد الزيارة ، وإنما أزاره الفكر . ومثله قام زيد ، لا بل أقمته . وكأن قائل هذا يريد ما اعتمد زيد القيام ، بل أقمته أنا) .

وأقول : إن الأمدى عاب هذا البيت ثم اعتذر لقائله بما هو العذر الصحيح الذي يخرج من أن يكون معيبا . فأى معنى لقوله إنه ليس بالجيد ؟ وقد فطن من غرضه لما فيه العذر ، وزوال العيب والقدح . فكأنه جمع بين الشيء وضده . وإنما يعيب بما ذكره من لم يفتن لما فطن له . وقوله « زار الخيال » إضافة الزيارة إلى

(١) من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر (ديوانه ٢ : ٤٢) .

الخيال . والظاهر من قول القائل « قام زيد » إضافة القيام إليه على سبيل الاختيار . فيجوز أن يستدرك قائل هذا القول على نفسه ، فيقول عقيب قوله « زار الخيال » ، بل أزاركه كذا وكذا . وعقيب قوله « قام زيد » ، بل أقامه فلان ، لأنه استدراك صحيح ، واقع في موقعه . وليس لأحد أن يخالف في هذه الجملة ، ويدعى أن قول القائل « قام زيد » إنما يفيد حصوله على هذه الصفة ، ولا يفيد أنه باختياره وإشاره ، دون حمل حامل ، وبعث باعث . لأن هذا إذا سلم على مافيه ، كان الاستدراك في موضعه أيضا ، لأنه إذا قال « زار الخيال » واحتمل هذا القول زيارة الاختيار ، من غير بعث باعث ، واحتمل وقوع الزيارة عن حمل حامل ، وقود قائد ، جاز أن يزيل هذا القائل الاحتمال والإبهام . فيقول : « لا بل أزاركه كذا وكذا » ، وهذا ما لا شبهة فيه . ثم قال الأمدى : « ويروى : إذا نام فكر الخلق لم ينم » . ثم قال : (لم يرد حقيقة النوم ، وإنما أراد لم يفتر ولم يسكن ، كما يقال فلان لا ينام عن هذا الأمر ، أى لا يفتر عنه ولا يقصر) . ويقول إن الرواية التي ذكرها في إبدال لفظة الخلق بالخلو لا بأس بها ، وإن كان لفظ الخلق أعم وأؤكد في المعنى المقصود ، فإن الخلو ، يدخل في جملة الخلق ، ولا يدخل الخلق في معنى لفظ الخلو . والذي فسره في نفي النوم ، أنه إنما أراد الفتور والسكون ، ظاهر ، لا يشكل مثله فيفسر . ثم قال : (وقوله « من آخر الليل » ولم يقل « من أول الليل » : يريد أنه لا ينام بالليل وأنه يسهره . وإنما يهوم^(١)

(١) هوم الرجل تهوينا : إذا هز رأسه من النعاس .

في آخره تهويما ، فيطرقة الخيال في ذلك الوقت) ثم قال : (قوله « وإن كان معسولا من السقم » : أى وإن كان حلوا من الأسقام : أى ممزوجا بالعسل . ويرويه قوم : « وإن كان معسولا من السقم » ، وليس بشيء) . قال الآمدى : « وهذه الأبيات حسان ، وغرض صحيح مستقيم » . ونقول : إن الذى قاله الآمدى فى معنى تخصيصه آخر الليل دون باقيه ، جائز ، ممكن أن يكون مقصودا . وفيه وجه آخر ، وهو أن الخيال لا يطرق فى العادة إلا مع وفور النوم وغزارته والاستثقال فيه . وهذا إنما يكون فى أواخر الليل ، ومع استمرار النوم وطول زمانه ، فلهذا خصَّ آخر الليل . وفسر قوله « كان معسولا من السقم » ، مع أنه واضح لا يشكك . وترك تفسير المشكل ، وهو أن يقال : كيف استحل هذا السقم والتذة ، حتى جعله معسولا ، وكأنه ممزوج بالعسل ، والسقم لا يستحل . والوجه فى ذلك أن السبب فى ذكره للخيال ، وشوقه إليه ، وأسفه على فراقه ، الذى جعله سقما من حيث كان مؤلما ، لما كان هو طروق الخيال ، وتمثله له وتخيله . وكان ذلك التخييل والتصور ملذا ممتعا ، مستحلى مستعذبا ، جعل المسبب عنه من التألم بقوته بمنزلته . فقد يوصف المسبب بأوصاف السبب ، للعلاقة التى بينهما ، والاتصال الذى يجمعهما . وما رأيناه أثنى على البيت الثانى من هذه القطعة ، ولا مدحه بما يستحقه من المدح ، فإنه فى غاية الحلاوة والطلاوة ، وسلاسة الألفاظ ، وعذوبة النسج . وقدح فى البيت الأول بما ليس يقدر على اعترافه ، فليته

جمع بين القدح للمقدوح ، والمدح للممدوح . فإن قال : قد مدحت جملة الأبيات ، وقلت إنها حسان ، وأغراضها مستقيمة . قلت : هذا مدح تكلفته ، وما نراك إذا أعجبك وأطربك معنى للبحتری ، تقتصر على هذا القدر من المدح . وقد كان ينبغي أن تخص البيت الثاني بزيادة الإطراء والمدح ، وتوقف على جودة طرحه وسبكه ، فإنه لا يجري مجرى ما تقدم عليه ولا تأخر عنه ، وما فعلت ذلك .

وقال أبو تمام أيضا من قصيدة :

عَادَكَ الزَّوْرُ لَيْلَةَ الرَّمْلِ مِنْ رَمْلَةٍ بَيْنَ الْحِمَى وَبَيْنَ الْمَطَالِي
نَمْ فَمَا زَارَكَ الْخِيَالُ وَلَكِنَّكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخِيَالِ^(١)
قال الأمدى : (قدأكثر أصحاب أبي تمام الفخر بهذا البيت ، والتنويه بذكره ، وأفرطوا في استحسانه ، وقالوا كشف عن العلة في طروق الخيال ، ويبيّن عن المعنى) . قال : والبيت حسن ، وإنما أخذ معناه من قول جبران العود :

أَهْلًا بِطَيْفِكَ مِنْ زَوْرٍ أَتَاكَ بِهِ حَدِيثُ نَفْسِكَ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولٌ

فقلوه « وهو مشغول » : أى أنه لم يزرك على الحقيقة ، فبنى أبو تمام من هذا قوله « ما زارك الخيال » ، وبنى من قوله « أتاك به حديث نفسك » قوله

« ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال » : فالمعنى كله لجران العود، وإنما غير أبو تمام اللفظ .

وما كان عندي أن مثله يذهب عليه ما قصده أبو تمام مع وضوحه . ومعنى « وهو مشغول » : أى وهو مشغول عنك ، لا تخطر بباله ، ولا يحدث نفسه بك . كما تحدث نفسك به ، ويخطر ببالك ولا يفارق ذكرك . وأراد أن يقال : قوله : حديث نفسك عنه الذى جعله سبباً للطيف وتخيله ، فقابل بقوله « وهو مشغول » : أى لا يحدث نفسه بك ، كما تحدث نفسك به .

فأما طعن الآمدى على الأبيات الميمية التى لأبى تمام ، ودعواه أنه لا حلاوة لها ولا طلاوة ، فمن قبح العصبية ، لأن قوله :

الليالى أحفَى بقلبي إذا ما جَرَحَتْهُ النَّوى مِنَ الأَيَّامِ

صحيح الوضع ، مليح المعنى ، لأنه إذا كان لا تلاقى بينه وبين محبوبه نهارة ، ولا وصل ولا قرب ، وأن ذلك كله يكون ليلاً ؛ فالليل أنفع له من النهار وأمتع . وأى شئ يراد من أبى تمام أن ينتهى إليه فى هذا البيت أكثر من هذا ؟ وأما البيت الثانى فحيد المعنى ، مليح اللفظ . ومن عذب اللفظ وغريبه قوله « سِرّاً من الأجسام » لأنه لاحظ للأجسام ، فى الانتفاع بطيف الخيال ، وجعل ذلك التمثيل والتخييل إنما هو للأرواح ، منفردة عن الأجسام ، على مذهب من يرى من الفلاسفة أن السبب فى رؤيا المنام ، اطلاع النفس من عالمها على ما يكون من الأمور ، ويجعلون للنفس ثيابا

وقواما من غير توسط الجسد. وهذا، وإن كان مذهبا باطلا، فقد دلت الأدلة الصحيحة على فسادِه، فيجوز أن يستعيره الشاعر في بعض كلامه تعريبا وتقريبا .

قال - أدام الله علوه - ولى على هذا البيت في وصف الخيال :

تلاقينا بأرواح - وفارقنا بأجساد

وقال - أدام الله علوه - وستجىء هذه الأبيات فيما أخرجه من ديوان شعري بمشيئة الله .

فأما البيت الثالث الذى أوله « مجلسٌ لم يكن لنا فيه عيبٌ » فهو قريب ، وليس يهجنُه إلا لفظة الدعوة ، فإنها كلمة عامية ، قلما يستعملها فصحاء الشعراء . فالطعن على هذه الأبيات على ما بيناه عصبية ظاهرة . ولى في تحقيق السبب في طيف الخيال ، ونفى أن تكون زيارته حقيقة ، ما هو أجود من قول أبى تمام :

* زَارَ الْخِيَالُهَا ، لَا بَلْ أَزَارَكَه *

ومن قوله :

نَمْ فَمَا زَارَكَ الْخِيَالُ وَلَكِنَّكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخِيَالِ
وهو قولى :

زَارَ وَمَا زَارَ سِوَى ذِكْرِهِ وَبَيْنَنَا دَاوِيَّةٌ^(١) سَمَلَقُ

(١) الداوية : الصحراء المترامية الأطراف . والسملق التى لا نبات فيها .

وقولى أيضا :

حتى التَّيْنًا عَلَى رَغْمِ الرُّقَادِ وَمَا ذَاكَ اللَّقَاءُ سِوَى وَسْوَاسِ ذِكْرِكَ
أما سلب الطيف العلم بما وقع الانتفاع به منه ، وأنه لا يدري ولا
يشعر به ، فالبحترى يعيده ويبديه . ويأتى فى شعرى منه الكثير بصور مختلفة ،
وصيغ غير مشتبهة . ومع الاشتراك فى المعانى ، إنما يقع الإحسان فى حسن
النسج ، وسلامة السبك ، وأن تكون العبارة عن ذلك المعنى ناصعة ،
وفى القلوب متقبلة .

وقال البحترى أيضا :

إِنَّ رِيًّا لَمْ تَسْقِ رِيًّا مِنَ الْوَصْلِ وَلَمْ تَدْرِ مَا هَوَى^(١) الْعُشَّاقِ
بَعَثَتْ طَيْفَهَا إِلَى وَدُونِي وَخَذْتُ شَهْرَيْنِ لِلْمَهَارِي الْعِتَاقِ^(٢)
زَارَ وَهْنًا مِنَ الشَّامِ فَحَيًّا مُسْتَهَامًا صَبَا بِأَرْضِ^(٣) الْعِرَاقِ
فَقَضَى مَا قَضَى وَعَادَ إِلَيْهَا وَالذَّجَى فِي بُرُودِهِ^(٤) الْأَخْلَاقِ
قَدْ أَخَذْنَا مِنَ التَّلَاقِ^(٥) بِحِظٍّ وَالتَّلَاقِ فِي النَّوْمِ عِدْلُ التَّلَاقِ^(٦)

يعنى بقوله : « عِدْلُ التَّلَاقِ » : فى الحقيقة ، أى فى اليقظة . وهذه

(١) ديوانه : جوى . (٢) المهارى : جمع مهريه ، وهى الإبل المنسوبة

لمهرة بن حيدان ، وهم حى عظيم . والعِتَاق : الكريمات الأصول .

(٣) ديوانه : بأعلى . (٤) ديوانه : ثيابه . (٥) ديوانه : اللقاء .

(٦) من قصيدة له يمدح بها أبا نهشل (ديوانه طبع هندية بالموسكى ٢ : ١٣٧) .

الآيات لا شبهة على متعصب ، فضلا عن منصف ، في حسنها ونصوعها .
وقال أيضا :

وزَارٍ زَارَ من أَعَقَّتْهُ يَمِيلُ وَزَنًا بَأَنَسِهِ ذُعْرُهُ
كَأَنَّهُ جَاءَ مُنْجِزًا عِدَّةً وَبِتُّ فِي الرَّاقِبِينَ أَنْتَظِرُهُ
لَمْ أَنَسَهُ مُوشِكًا عَلَى رَجُلٍ مُدَاجِجًا لِلْحَدِيثِ يَحْتَصِرُهُ
كَأَنَّمَا الْكَاشِحُونَ قَدْ خَرَصُوا مَكَانَهُ أَوْ أَتَاهُمْ خَبْرُهُ (١)

ومن العجب أن الأمدى ذكر أن هذه الآيات أحسن وأحلى من
التي هي قبلها . والأمر بخلاف ما ظنه ؛ لأن آيات «الْقَافِيَّة» أطبع وأنصع ،
وأبعد من الكلفة ، والصنعة فيها أخفى ، وكلامها أحلى . وهذه الآيات
الرائية معانيها أجود من ألفاظها ، وتظهر فيها بعض كلفة الصنعة ، وهي مع
ذلك في غاية الحسن ، إلا أن تفضيلها على الأولى غير صحيح . وأما قوله «يَمِيلُ
وَزَنًا بِأَنَسِهِ ذُعْرُهُ» فإنما يريد به أن ذعره أرجح وأزيد من أنسه . فأما قوله
«قَدْ خَرَصُوا مَكَانَهُ» فإنما يريد أنهم قد حَزَرُوا مَكَانَهُ ، وسبق ظنهم إليه ،
من الخرص ، الذي هو حَزَرُ ثَمَرَةِ النَّخْلِ ، لا من الخرص الذي هو الكذب .
وهذه الآيات ليست خالصة لوصف الطيف ، بل يجوز أن يكون المراد بها
زَارًا زَارَ فِي الْيَقِظَةِ . فالكلام محتمل في الطيف وغيره .

(١) الآيات ليست في نسخة الديوان طبعة هندية ، وله شعر كثير لم ينشر بعد .

وقال البحترى : أيضا من قصيدة :

إِنَّ الْعَمِيدَ صِبَابَةً مَنْ لَا يَنِي يَدْعُو صِبَابَتَهُ الْخِيَالَ إِذَا سَرَى
تَدْرِينَ كَمْ مِنْ زُورَةٍ مَشْكُورَةٍ مِنْ زَائِرٍ وَهَبَ الْخَطِيرَ وَمَا دَرَى
غَابَ الْوِشَاةُ فَبَاتَ يَسْهَلُ مَطْلَبُ لَوْ يَشْهَدُونَ طَرِيقَهُ لَتَوَعَّرَا
كَانَ الْكَرَى حَظَّ الْعُيُونِ وَلَمْ أَخَلْ أَنَّ الْقُلُوبَ لَهْنٌ حَظٌّ فِي الْكَرَى
دَمْعٌ تَعَلَّقَ بِالشُّؤْنِ فَلَمْ يَزَلْ بَرَحُ الْغَرَامِ يَسُوقُهُ حَتَّى جَرَى
قَامَتْ تُمْنِيَّيْنِي الْوِصَالِ لِتَبْتَلِي جَذَلِي وَحَاجَةً أَكْمَهُ أَنْ يُبْصِرَا
مَنْيَتِنَا عَدَلًا وَمَا أَهْلَتِنَا وَالْوَقْتُ لَيْسَ يُحْمِلُ حَتَّى يُشْهَرَا
تَاللَّهِ لَمْ أَرَ مُذْ رَأَيْتُ كَلِمَتِي فِي الْعَلْتِ إِلَّا لَيْلَتِي فِي عُكْبَرَا
أَهْوَى الظَّلَامَ وَأَنْ أَمْلَأَهُ وَقَدْ حَدَرَ الصَّبَاحُ نَقَابَهُ أَوْ أَسْفَرَا (١)

قال الأمدى : « وهذا لعمرى القول الذى لو ورده الظمان لروى ،
لكثرة مائه » . وأقول : إنه قد تقدم فيما أوردناه للبحترى من هذا الباب ،
ما هو من هذه الأبيات أنصع وأطبع ، وأحلى وأعلى ، وأعقب بالقلوب ،
وأعلق بالنفوس . فأما قوله :

كَانَ الْكَرَى حَظَّ الْعُيُونِ وَلَمْ أَخَلْ أَنَّ الْقُلُوبَ لَهْنٌ حَظٌّ فِي الْكَرَى
فلقائل أن يقول : أى حظ للقلوب فى الكرى لم يخاله ثم وجده ؟
وأى حظ معهود للعيون من الكرى ؟ فإن هذا ليس يمين فى كلامه .

والجواب : أن العيون من حيث تَوَدَّعت وسكنت عن موالاة النظر والتحديد المتعين لها؛ كان لها بذلك حظٌّ من الكرى دون القلوب . فإن خواطر القلوب وأفعالها تكون في النوم واليقظة . وما تراد له العيون لا يكون في اليقظة دون النوم . ولما كان الخيال في النوم يتمثل للقلب ويُتَخِيل ، فيسر القلب بذلك التخيل ، ويعتقده حقيقة ، ويلتذ به عاجلاً ، وينتفع به ، كان للقلوب حظ في الكرى لم يكن في حسابه . وهذا تدقيق منه .

وأما قوله :

مَنْيَتِنَا عَلَاً وما أَهْلَتِنَا وَالْوَقْتُ لَيْسَ يُحِيلُ حَتَّى يُشْهَرَا

فالعلل هو الشرب الثاني . والنهّل هو الشرب الأول . يعجب من أنها تمنيه الشرب الثاني، ولم يكن منها شرب أول ، ومن لم ينهل لم يُعَل ، كما أن الزمان لا يحيل ، بأن يصير حولا حتى يُشْهر ، بمعنى أنه يكون شهرا ، فإن الشهر قبل الحول . كما أن النهّل قبل العلّ . فأما قوله : «أهوى الظلام وأن أملاه» : فما زالت الشعراء تتمنى الليل والنوم فيه لطروق الطيف . واعتادني ليلا ، فجعلوه مختصا بالاعتیاد والطروق ليلا . ولم يستعمل الشعراء ذلك في قديم ولا حديث ، إلا فيما ذكرناه . قال امرؤ القيس :

* تأو بنى دأى القديم فغلّسا *

والشواهد على هذا أكثر من أن تحصى . والبیت الخامس عليه رونق

الإحسان ، و الصنعة فيه كأنها مفقودة ؛ للطبع المتدفق ، والماء المتفرق .

وقال البحرى أيضاً من قصيدة^(١) :

أَمَّا رَاعَكَ الْحَىُّ الْحِلَالُ بِهَجْرِهِمْ وَهُمْ لَكَ غَدَوًا بِالتَّفَرُّقِ أَرُوعُ
بلى ، وخیالٌ من أثيلة^(٢) كلما تَأَوَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ تَعَرَّضَ يَطْمَعُ
إِذَا زُورَةُ مِنْهُمْ تَقَضَّتْ مَعَ الْكَرَى تَذَبَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ لَهُ أَنْفَزَعُ
تَرَى مُقَلَّتِي مَا لَا تَرَى فِي لِقَائِهِ وَتَسْمَعُ أَذْنِي رَجَعَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ
وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَخَيُّلٍ بَاطِلٍ تُرَدُّ بِهِ نَفْسُ اللَّهَيْفِ فَيَرْجِعُ

قال الأمدى : (ولست أقول في هذا إلا ما كان البحرى يقول) وحدثنا

به أبو علي محمد بن العلاء السجستاني أنه كان إذا شرب وسكر ، أشده

مثل هذا وأشباهه من شعره ، وقال : « ألا تسمعون ؟ ألا تعجبون ؟ » .

ويقول : إن الأبيات ناصعة الجمال ، بعيدة المنال . وفي البيت الأخير

الذى أوله :

* وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَخَيُّلٍ بَاطِلٍ *

معنى جليل القدر ، ثقیل الوزن ، له غور عمیق ، وأسّ وثیق . وإنما

أراد البحرى : أن الذى يراد من الحق من بل الغلة ، وإمساك الرمق ،

(١) يمدح بها أبا عيسى بن صاعد (ديوانه ٢ : ٨٧) .

(٢) ديوانه : قتيلة ، في مكان : أثيلة .

وتمتع النفس ، هو في هذا الباطل : فقد تساوى في الغرض المقصود ، وقام الحق فيه مقام الباطل .

وقال البحترى^(١) أيضا :

أُخِيَالٌ عُلُوَّةٌ كَيْفَ زُرْتُ وَعِنْدَنَا أَرْقٌ يُشَرِّدُ بِالْخِيَالِ الزَّائِرِ
طَيْفٌ أَلَمٌ بَنَّا وَنَحْنُ بِمَهْمَةٍ قَفَرٌ^(٢) يَشُقُّ عَلَى الْمَلَمِّ الْخَاطِرِ
أَفْضَى إِلَى شُعْثٍ تُطِيرُ كَرَاهِمُ رَوَّحَاتُ قُودٍ كَالْقِسِيِّ ضَوَامِرِ
حَتَّى إِذَا نَزَعُوا الدُّجَى وَتَسَرُّ بُلُوعَا مِنْ نُورٍ^(٣) هَلَكَةِ الصَّبَاحِ النَّارِ
وَرَمَوْا إِلَى شُعْثِ الرَّجَالِ^(٤) بِأَعْيُنِ يَكْسِرُنَ مِنْ نَظَرِ النِّعَاسِ الْفَاتِرِ
أَهْوَى فَأَسْعَفَ بِالتَّجِيَّةِ خِلْسَةً وَالشَّمْسُ تَلْمَعُ فِي جَنَاحِ الطَّائِرِ
سِرْنَا وَأَنْتِ مُقِيمَةٌ وَلَرُبَّمَا كَانَ الْمَقِيمُ عِلَاقَةً لِلْسَّائِرِ

قال الأمدى :

« وهذا والله الكلام العربي » ، والمذهب الذي بُعد على غيره أن يأتي بمثله . ونقول : إن الوصف يقصر عن بلاغة هذه الأبيات وبراعتها وسلامتها ، وإنما يعجب من طروق الخيال مع الأرق الذي يشرد الخيال ، فلا يكون معه في موضع العجب . ولا بد من أن يكون قد أغفى بعض الإغفاء مع طول الأرق ، ومعالجة السهر ، فطرقه طيف الخيال في ذلك

(١) من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر (ديوانه ٢ ٤٢) .

(٢) ديوانه : مرت . (٣) ديوانه : فضل . (٤) ديوانه : شعب الرحال .

التهويم الخفيف الضعيف . فأما قوله « يشق على الملم الخاطر » ، فلم يرد
 خاطر القلب ، لأن ذلك لا معنى له في هذا الموضع ، وإنما أراد الماشي ، لأنهم
 يقولون خَطَرَ البعير يَخْطُر خَطَرًا : إذا مشى فضرب بذنبه يميناً وشمالاً .
 والقود الطوال . ووصف الإبل بأنها مع الطول كالقسي من النحول
 والضمير . فأما قوله « هلهلة الصباح » ، فالعرب تقول ثوب مهلهل وهلهل
 وهلهلة ، وهو الرقيق النسج . ومنه قيل لنسج العنكبوت الهليل . وإنما
 وصف البحرى أوائل ضوء الصباح النائر ، وإنما أراد المنيرة ، وفي ذلك
 لغتان نار وأنار . قال الفراء : أنار الطريق ونار . وذكر مثل ذلك يعقوب .
 وقال قطرب : نارت النار وأنارت ، ونار البرق وأنار . فأما العلاقة بفتح
 العين فهي علاقة الحب . وبكسر العين هي : علاقة السوط وغيره .
 قال البحرى أيضاً^(١) :

إذا ما الكرى أهدى إلى خياله سقى قرْبُهُ التَّبريحَ أوْ نَقَعَ الصَّدَا
 إذا انْبَزَعَتْهُ مِنْ يَدَيَّ انْتِبَاهَةً عَدَدْتُ حَبِيبًا رَاحَ مِنِّي أوْ غَدَا
 ولم أرَ مِثْلَيْنَا ولا مِثْلَ شَانِنَا نَعْدَبُ أَيْقَاطًا وَنَنْعَمُ هُجْدَا
 أما الصَّدَى ههنا : فهو العطش ؛ ومعنى نَقَعَ الصدى : أى رواه .
 والبيت الثالث في هذه الأبيات في غاية الحسن والقوة والسلامة .

(١) من قصيدة يمدح بها المعتز بالله ، ويستشفعه إلى ابنه عبد الله (ديوانه

وقال البحتريّ أيضاً :

أَقَامَتْ عَلَى الْهَجْرَانِ مَا إِنَّ تَجْوِزَهُ وَخَالَفَهَا بِالْوَصْلِ طَيْفٌ لَهَا يَسْرِي
فَكَمْ فِي الدُّجَى مِنْ فَرَحَةٍ بَلَقَاهَا وَكَمْ تَرَحُّوةً بِالْبَيْنِ مِنْهَا لِيَذِيَ الْفَجْرِ
إِذَا اللَّيْلُ أَعْطَانَا مِنَ الْوَصْلِ بُلْغَةً تَنْتَشِينِي سَيْرَ الصَّبَاحِ إِلَى الْهَجْرِ
وَلَمْ أُنْسَ إِسْعَافَ الْكَرَى بِدُنُوءِهَا وَزَوْرَتَهَا بَعْدَ الْهُدُوءِ وَمَا تَدْرِي

ويتمنى تطاول الليل وتماديه ، ليمتطاول ويتمادى زمان المتعة بالطيف
واللذة ، بتخيله وتمثله . وهذا باب واسع وطريق مهيّج .

ومن رقيق ما قيل فيه قول ابن المعتز .

أَيَا^(١) بَدِيعًا بِلَا شَبِيهِ وَيَا حَقِيقًا بِكُلِّ تَبِيهِ
وَمَنْ جَفَانِي فَلَا أَرَاهُ هَبْ لِي رُقَادًا أَرَاكَ فِيهِ

وهذا نظير قول الشاعر :

يَا نَارِحًا نَزَحْتَ عَيْنِي قَطِيعَتُهُ هَبْ لِي مِنَ الدَّمْعِ مَا بَكَى عَلَيْكَ بِهِ

فإن قيل إنما استوهب ابن المعتز من الرقاد ما هو في يد محبوبه ، لأنه
يملك هجره وبعاده فيسهر ، وليس يملك المحبوب مادة الدمع فيسأل فيها .
والجواب عن ذلك : أن الأمرين واحد ، لأن المعشوق يقدر على كل ما يبكي
به عاشقه ، ويذرى دموعه ، ويجلب ماءها ويستنفده ، ويقدر على الكف

(١) ديوانه طبع مصر سنة ١٨٩١ م (١ : ١٠١) : يا بديعاً .

عن ذلك، فيبقى دموعه بكالمها، ولا يُصْفِر^(١) ما قيه منها. فما سأل الشاعران
إلا ما هو ممكن غير مُعَوِّز.

وقال البحتري^(٢):

بِتْ أَبْدَى وَجَدًا وَأَكْتَمُ وَجَدًا خِلَالِ قَدْ بَاتَ لِي مِنْكَ يَهْدَى
أَقْسَمَ الظَّنُّ فِيهِ أَنِّي تَخَطَّى الرَّمْلَ مِنْ عَالِجٍ وَأَنْنَى تَهْدَى
خَطَاً مَا أَزَارَاهُ طُرُوقًا أَمْ تَوَخَّيْهِ لِلزَّيَارَةِ عَمْدًا
جَاءَ يَسْرِي فَأَشْرَقَتْ أَرْضُ نَجْدٍ لِسُرَاهُ وَوَصَلَ الْغَيْثُ نَجْدًا
لَا يَخِيبُ الْبِلَادُ تَخِطُرُ فِيهَا رُسُلُ الشَّوْقِ مِنْ خَيَالَاتِ سُعْدَى
وَعَدْتُنَا فَمَا وَفَتْ بَوِصَالٍ وَوَفَتْ حِينَ أَوْعَدْتَ أَنْ تَصُدَّا
قَرَّبَ الطَّيْفُ مُنْتَهَاهَا فَأَصْبَحْتُ حَدِيثًا بِنَاقِضِ الْعَهْدِ عَهْدًا
وقال أيضا:

مِنْكَ طَيْفٌ أَلَمَ وَالْأَفْقُ مَلَا نُ مِنَ الْفَجْرِ وَاعْتَرَضَ عَمُودُهُ^(٣)
زَائِرٌ ، أَشْرَقَتْ لِرُؤُوسِهِتِهِ أَغْـ وَارُ أَرْضِ الْعِرَاقِ بَعْدَ نَجُودِهِ
أَرَبُ النَّفْسِ كُلُّهُ وَمَتَاعُ عَيْنٍ فِي خَدِّهِ وَفِي تَوْرِيدِهِ
مُعْطِيًا مَنْ وَصَالِهِ فِي كَرَى النَّوْ مِ الَّذِي كَانَ مَا نَعَا فِي صُدُودِهِ
يَقْطَاطُ الْمُحِبِّ سَاعَاتِ بُوسَا هُ وَنَعْمَاهُ^(٤) عَيْشِهِ فِي هُجُودِهِ

(١) يصفر: يخلى . (٢) من قصيدة يمدح بها ابن الفرات (٢٠٦: ١ ط هندية) .

(٣) من قصيدة يمدح بها الخضر بن أحمد الثعلبي ، ديوانه (١ : ١٦٨ هندية) .

(٤) الديوان : نعا .

أما وصف خيال المحبوب بأنه يبذل في النوم ما كان يَضِن به في اليقظة ، ويصل في هذه الحال بعد صدوده في غيرها ، وأن النعيم والمنفعة في الهجود مع طيف الخيال ، كما أن الشقاء والمضرة في اليقظة مع هجر الحبيب وصدوده ، فهو جادة مسلوكة ، وجهة مأنوسة للشعراء ، وسيجىء في شعري من ذلك ما سيقف عليه بمشيئة الله . والحكم في تجويد وتقصير ، وإحسان وإساءة ، إلى من عرف ثم أنصف .

وقال البحتريّ أيضا :

وما انفكّ داعيَ البينِ حتّى ترايكتَ قبابُ بناها حاضِرٌ وخيامُ^(١)
عشيّة مابى عن شبّيثَ ترَحَّلُ فأَمْضَى ولالى في شبّيثَ مُقَامُ
فما^(٢) نلتقي إلاّ على حلمٍ هاجِدٍ يُحِلُّ لنا جدواكِ وهوَ حرامُ
إذا ما تبادلنا^(٣) النفائسَ خِلتُنا من الجدِّ أيقاظًا ونحْنُ نيامُ

قال الآمديّ : « وهذا قول ليس بينه وبين القلب حجاب » ، وقد صدق في مقالته ، وأنصف في شهادته . ومعنى قوله : « يحل لنا جدواك وهو حرام » : إنا نظفر في الحلم بما كنا نرد عنه في اليقظة ، وننال ما كنا نذاد عنه . فعبر عن البذل بالتحليل ، وعن المنع بالتحريم ، وهذا مليح ، ومن بارع البلاغة والفصاحة ، لأن الحظر والتحريم منع من الشيء وإن فِعِل . والتحليل بذل له وإن هُجِر . قال - أدام الله علوه - والذي أرويه : « يحل لنا جدواك وهي حرام » ، لأن الجدوى مؤنثة . وقد رواه الآمديّ على

(١) من قصيدة يعتذر فيها إلى يعقوب بن أحمد بن صالح ديوانه (٢ : ٢٤٩ ط

هندية) . (٢) ديوانه : وما . (٣) ديوانه : تبادلنا .

التذكير . وقد يجوز ذلك على المعنى ؛ لأن معنى الجدوى هو العطاء
والفضل والإحسان .

وقال البحتري^(١) :

أَرْجَمُ فِي لَيْلِي الظُّنُونِ وَأَرْتَجِي أَوَاخِرَ حُبِّ أَخْلَفْتَنِي أَوَائِلُهُ
وَلَيْلَةٌ هُوَ مَنَا عَلَى الْعَيْسِ أَرْسَلَتْ بَطِيفِ خِيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ كَانَ تَشَبُّهُي بَعِطْفِي غَزَالٍ بَتُّ وَهْنًا أَغَاظِلُهُ
وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِي حَمِيدَةٌ وَلِلصُّبْحِ مِنْ خَطْبٍ تَذَمُّ غَوَائِلُهُ

قوله « يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ » من مליح الكلام ومقبوله . وقال الأمدى
عقيب هذه الأبيات : وهذا كله إنما حسن هذا الحسن ، وقبلته النفوس ،
لأنه اعتمد أن يخبر بالأمر على ما هو به ، من غير زيادة ولا نقصان . لافصاحة
لكلامه ، ولا بلاغة ولا براعة . وكم من مخبر عن الشيء على خلاف ما هو
به ، لكلامه القبول ، وإلى القلوب الوصول . وهذا يدل على أن حظ
الألفاظ في الكلام الفصيح منظوما ومنشورا أقوى من حظ المعاني .
وقد نبهت على ذلك في مواضع من كلامي ، من أراد الاستقصاء
وقف عليها .

(١) هذه الأبيات ليست في ديوانه طبع هندية .

وقال البحرى أيضاً^(١) :

مَا تَقْصَى لُبَانَةٌ عِنْدَ لُبْنَى وَلِالْمَعْنَى بِالْغَانِيَاتِ مُعْنَى
هَجَرْتَنَا يَقْظَى وَكَادَتْ عَلَى مَذْ^(٢) هَبِهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى
بَعْدَ لَأْيٍ وَقَدْ تَعَرَّضَ مِنْهَا طَائِفٌ^(٣) عَرَّجَتْ عَلَى الرِّكْبِ وَهَنَا
وَرَأَيْتَ أَبَا الْقَاسِمِ الْآمِدَى — مَعَ حَسَنِ رَأْيِهِ فِي الْبَحْرِىَّ ، وَمِيلِهِ إِلَيْهِ —
يَزْعَمُ أَنَّهُ أَخْطَأَ فِي قَوْلِهِ :

هَجَرْتَنَا يَقْظَى وَكَادَتْ عَلَى مَذْ هَبِهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى
قال : لَأَن خِيَالَهَا يَتِمُّثَلُّ لَهَا فِي كُلِّ أَحْوَالِهَا ، يَقْظَى كَانَتْ أَوْ وَسْنَى . قال :
لَكِن الْجَيِّدُ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ :

أُرِدُّ^(٤) دُونَكَ يَقْظَانًا وَيَأْذَنُ لِي
عَلَيْكَ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسْنَانًا

قال : [وَالَّذِى أَوْقَعَ الْبَحْرِىَّ فِي هَذَا الْغَلْطِ ، قَوْلُ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ :
مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تَوْتَيْنَهُ فِي النُّومِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مُحْسُوبٍ
قال : وَكَانَ الْأَجُودُ أَنْ يَقُولَ مَا تَمْنَعِي فِي الْيَقْظَةِ فَقَدْ تَوْتَيْنَهُ فِي النُّومِ .

(١) هذه الأبيات مطلع قصيدة مدح بها ابن الفياض (انظر ديوانه ٢ : ٢٩٠
طبع هندية) . (٢) ديوانه : عاداتها .
(٣) ديوانه : طائف طاف في على الركب وهنا .
(٤) هذا البيت ليس في ديوانه طبع هندية .

أى ما تمنعينه فى يقظتى فقد تؤتينه فى حال نومى ، حتى تكون اليقظة والنوم منسوبين إليه . ثم قال : إلا أنه يتسع من التأويل فى هذا القيس ، ما لا يتسع للبحترى ؛ لأن قيسا قال فقد تؤتينه نائمة . وقد يجوز أن يحمل على أنه أراد ما تمنعيني يقظتى وأنا يقظان ، فقد تؤتينه فى النوم ، أى فى نومي . ولا يسوغ مثل هذا فى بيت البحتري ، لأنه قال وسنى ولم يقل فى الوسن . ونقول إنه قد يمكن من التأويل للبحترى فى بيته ، ما لم يمكن مثله لقيس ، لأن البحتري لما قال وسنى ، أتى بلفظة تدل على حال الوسن . والحال المعهود للوسن حال يشترك الناس فيها فى النوم بالمعاد ، كما أن الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة فى العادة ، فقوله وسنى تنبى عن كونه هو أيضاً نائماً ، وإنما أراد المقابلة بين يقظى ووسنى . وقول البحتري يقظى : الأولى أن يُحمل على أن المراد به أنها هجرت فى أحوال اليقظة . ومعنى يقظى يتعدى إليه . ألا ترى أن الأمدى حمل قول قيس « يقظى » على معنى وأنا يقظان وإن تبين الوجه فيه ؟ فكيف لم يفتن لمثل ذلك فى قول البحتري ؟ وقوله « وسنى ويقظى » مثل قول قيس « يقظى » . ولو ممكن قيسا وزن الشعر من أن يقول « وسنى » فى مقابلة « يقظى » ، لعله ما عدل عنه إلى أن يقول فى النوم ، لأنه لم يكن عليه فى وسنى إلا ما عليه فى يقظى ، وما يتأول له فى أحد الأمرين يتأول بمثله فى الآخر .

فأما أبيات قيس هذه فى الطيف ، فقد سبق فيها إلى كل معنى غريب

عجيب ، وهو قدوة في هذا المعنى لكل من تبعه تبع أثره . والأبيات :

أَتَى سَرَبَتْ وَكُنْتَ غَيْرَ سَرُوبٍ وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامَ غَيْرُ قَرِيبٍ
مَا تَمْنَعِي يَقْطَعِي فَقَدْ تَوْتَيْنَهُ فِي النُّومِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مُحْسُوبٍ
كَانَ الْمَنَى بِلِقَائِهَا فَلَقِيَتْهَا فَلَهَوْتُ مِنْ لَهْوِ امْرِئٍ مَكْذُوبٍ

أما قوله : « وَكُنْتَ غَيْرَ سَرُوبٍ » ولم يقل : وَكُنْتَ غَيْرَ سَارِبَةٍ ؛ فله معنى عجيب ؛ لأن السارب هو السائر نهاراً ، كما أن السارى هو السائر ليلاً . ومن لم يسر نهارا مع وضوح المسالك ، والاهتداء إلى المقاصد ، والأنس بضياء النهار ، كيف يسرى في الظلام وهو على الضد من هذه المعاني ؟ فالعجب منه واقع في موقعه . وقوله « وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامَ غَيْرُ قَرِيبٍ » من مליح الإشارة إلى غرور الطيف ، وكذب تخيله . فأما المَصَرَّد : فهو القليل . والتَصَرِيد : التقليل . وتحتل لفظة محسوب شيئين : أحدهما التقليل أيضا ، لأن الشيء القليل يوصف بأنه محسوب . وهذا التأويل أحد الوجوه في قوله تعالى : « يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ » ، فكان الشاعر أ كَدَّ قوله : « غَيْرُ مُصَرَّدٍ » بأنه أيضا غير محسوب ؛ كل ذلك لنفي التقليل . والوجه الآخر أن يكون معنى محسوب : أى متوقع منتظر ، كما يقال : لم يكن كذا وكذا في حسابي : أى ماتوقعته ولا انتظرته . فكانه قال : تَوْتَيْنَهُ فِي النُّومِ غَيْرَ مَقْلَلٍ ، ولا متوقع منتظر ، لأن زيارة الطيف في النوم ليست مما ينتظر ويتوقع . وقوله فلقيتها : معناه : فلقيت خيالها ،

لأنه لو كان لقيها لما كان مكذوبا . وقوله : « فلهوت هو امرئ مكذوب » من فصيح العبارة ، وأحسنها معنى .

وقال البحتري أيضا^(١) :

أَمَامُ عَيْنٍ عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي غَرَبَتْ به الجوانح واليَئِنِ الَّذِي أَفْدَا^(٢)
كَيْفَ اللِّقَاءِ وَقَدْ أَضَحَتْ مُحَيِّمَةً بالشام لا كَثِبًا مِنْهَا وَلَا صَدَدًا^(٣)
تَهَاجَرُ أُمَمٌ لَا وَصَلَ يَخْلُطُهُ إِلَّا تَزَاوُرُ طَيْفَيْنَا إِذَا هَجَدَا
وَقَدْ يُزِيرُ الْكَرَى مِنْ لَازِيَارَتِهِ

قَصْدٌ وَيُدْنِي الْهَوَى مِنْ بُعْدٍ مَنْ بَعْدَا
بِتَنَا عَلَى رِقْبَةِ الْوَاشِينَ مُكْتَنِفِي

صِبَابَةٌ نَتَعَاطَى^(٤) الْبَثَّ وَالْكَدَا
أَمَا سَأَلْتَ بِشَخْصَيْنَا هُنَاكَ فَقَدْ

غَابَا ، وَأَمَّا خِيَالُنَا فَقَدْ شَهِدَا
وَلَمْ يَعْدَنْ لَهَا طَيْفٌ فَيَفْجَوْنِي

إِلَّا عَلَى أُبْرَحِ الْوَجْدِ الَّذِي عَهْدَا

(١) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان انظر ديوانه ١ : ١٣٤

(٢) أفدا : أصاب الفؤاد . طبع هندية .

(٣) الصدد : ناحية الشيء . (٤) ديوانه : نتشاكى .

قال الآمدى : « لو كان قال : إلا تراور طيفينا إذا هجدنا ، كان عندى أجود . فكان المعنى : إني إذا هجدت رأيتها فى النوم . فكان نفسى ونفسها اجتماعتا ، وكذلك إذا هجدت هى ترى مثل ما رأيت ، ويكون « طيفينا » محمولا على معنى نفسينا ، لأن النفس هى التى ترى ماترى فى النوم ، وهى التى تتمثل أيضا ماتتمثله فى اليقظة . وقد يسوغ مع هذا أيضا قوله : « إذا هجدوا » : يريد النفسين ، لأن نفس الإنسان هى التى تنام ، كما قال الله تعالى : « والتى لم تمت فى منامها » . ونقول إنه لاشبهة فى أنه لو قال البحرى : « إلا تراور طيفينا إذا هجدا » لكان صحيحا مستقيا ؛ لكن وزن الشعر لم يمكنه من ذلك ، فعدل إلى لفظ آخر ، وما أراد إلا هذا المعنى بعينه ، لأن الطيفين اللذين هما ما يتمثل فى النوم ويتخيل ، لا يوصفان بالهجوم . وإنما عبر بالطيف عن صاحب الطيف ؛ وعمن يتمثل له أو منه الطيف ، وما ذلك ببعيد من الاستعارة فى منشور الكلام ، فضلا عن منظومه الذى يضيق عن الأغراض ، ويحتمل فيه ما لا يحتمل فى غيره . فأما قول الآمدى : إن النفوس هى التى تجتمع وتلتقى ، ويتمثل لها ماتتمثله فى يقظة أو نوم ، وأن نفس الإنسان هى التى تنام ، واستشهاده بالآية ، فما كان ينبغى له أن يخوض فيه ، ويدخل نفسه فى مثله ، فإنه ليس من عمله ؛ ولا مما له به علم ومعرفة . وترك الإنسان الدخول فيما لا يعرفه أستر عليه . والنفس عبارة فى اللغة العربية عن أشياء

كثيرة ، منها الدم ؛ ولذلك قالوا : « مالا نَفْس له سائلة ، فإنه لا ينجس الماء إذا مات فيه ^(١) » ، وسميت النفس بهذا الاسم ، لأجل الدم . ويعبر بالنفس عن الذات ، يقال فعلت ذلك بنفسى ، وجاء زيد نفسه ، ونفسى تتوق إلى كذا وكذا : أى أنا تائق إليه .

والذى تهذى به الفلاسفة من أن النفس جوهر بسيط ، وينسبون الأفعال إليها ، مما لا محصل له ، وقد بينا فسادَه في مواضع كثيرة من كتبنا ، ودلنا على أن الفاعل المميز الحى الناطق ، هو الإنسان الذى هو هذا الشخص المشاهد ، دون جزء فيه أو جوهر بسيط يتعلق به ، وليس هذا موضع بيان ذلك والكلام فيه . فقول الآمدى : إن النفس هى التى ترى فى اليقظة والنوم ، وهى التى تنام فى الحقيقة ، خطأ منه فاحش ، لأنه قد أضاف أفعال الحى الذى هو الإنسان المشاهد إلى غيره . والذى ينام على الحقيقة ويستيقظ ، هو الحى الذى هو الإنسان المشاهد . فأما قوله تعالى : « يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا » ، فمعناه الصحيح : أن الله تعالى هو الذى يقبض ويجمع حركات الأحياء ، ويصرفهم فى وقت موتهم . وعبر بالنفوس عن ذوات الأحياء ، لأن تصرف الحى مع النوم وحر كته تنقبض وتقل ، كما تنقبض حر كته مع الموت ... وإن كان النائم حيا ، والميت فاقدا لحياته . ثم قال تعالى : « فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ » ،

(١) هذا حديث روى عن النبى عليه الصلاة والسلام .

أى يستمر منعها عن جميع التصرف والأفعال ، ويرسل الأخرى إلى
أجل مسمى : أى يعيد النائم فى أحوال اليقظة إلى ما كان عليه من
التصرف .

وقال البحرى أيضا ^(١) :

طَيْفٌ تَأْوَبَ مِنْ سَعْدَى فَحَيَّانِي أَهْوَاهُ وَهُوَ بُعِيدَ النَّوْمِ يَهْوَانِي
فِيهَا زَوْرَةٌ يَشْفَى الْغَلِيلُ بِهَا لَوْ أَنَّهَا جَلَبَتْ يَقْطِى لِيَقْطَانِ
مَهْزُوزَةٌ إِنْ مَشَتْ لَمْ تُلَفْ هَزَّتْهَا فِي الْخِزْرَانِ وَلَمْ تَوْجَدْ مَعَ الْبَانِ
يُدْنِي الْكِرَى شَخْصَهَا مِنِّي وَيُبْعِدُنِي
هَجَرٌ فَيُبْعِدُ مِنِّي شَخْصَهَا الدَّانِي

أما قوله : « أهواه وهو بعيد النوم يهوانى » فإنما يريد أننى أهواه
على الحقيقة ، وهو بعيد النوم يتخيل لى شخصه وطيفه وزيارته لى ، فكأنه
يهوانى . والبيت الثالث فى غاية الملاحظة والرشاقة . وفى البيت الرابع رواية
تخالف ما حكيناه ، وهى :

يُدْنِي الْكِرَى شَخْصَهَا مِنِّي وَيُنْفِئُنِي
وَجَدْتُ فَيُبْعِدُ مِنِّي شَخْصَهَا الدَّانِ

(١) من قصيدة يملح بها إسماعيل بن بلبل (ديوانه ٢ : ٢٩٨ طبع هندية) .

ومعنى الرواية الأولى أن هجرها لى مبعد فى الحقيقة عن لقائها ، ونأى
بشخصها عني ، وإن خيّل الكرى لى الدنو إليها .

والرواية الثانية معناها : أننى أتحيل فى النوم دنو شخصها منى ، فإذا
انتبهت بالوجد ، وجدت شخصها بعيدا ، فكأن الاستيقاظ هو الذى أبعد
شخصها ، كما أن الكرى أدناه ، وجوّد العتابى فى قوله :

ولما استقرّ النومُ فى جفنِ عينِهِ وماتتْ له أوصالُهُ والمفاصلُ
رَمَتْ غمراتِ الموتِ رَمِيًّا بِنَفْسِهَا ولليلِ سترٌ حولها مُتَّهِدِلُ
فَأَهْدَى إلينا الليلُ شَخْصًا تَنَاسَبَتْ إلى الحُسْنِ منه صورةٌ وشمايلُ
فَبَاتَتْ غماماتُ النعيمِ تَجودُنَا لها دِيمٌ حتى الصبحِ ووايلُ

وأحسن كل الإحسان مسلمُ بن الوليد فى قوله :

وليلةَ باتَ اللهوُ إلا بقيةً تدارَ كها طيفُ أَلَمٍ مُسَلِّمًا
جمعنا معاذيرَ العتابِ برقدةٍ مَشَتْ بَيْنَنَا تَطْوِي الحديثَ الْمَكْتَمًا

وأحسن النمر بن تَوَلَّب فى قوله :

تَأَوَّبَ صُحْبَتِي وَهُمْ هُجُودٌ خيالٌ طَارِقٌ من أُمِّ حِصْنِ
أَلَمْ تَرَهَا إِلَيْكَ الْيَوْمَ جَاءَتْ بملءِ العَيْنِ من كرمٍ وحُسنِ

والناس يستحسنون قديماً لملك بن أسماء ، وقد رويت لغيره ، قوله :

عَنَّتْ لِعَيْنِي لَيْلِي عِنْدَ مَسْرَاهَا فَبِتْ أَرْشَفُ يُمْنَاهَا وَيُسْرَاهَا

وَقُلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا إِذْ هُدَيْتَ لَنَا إِنْ كُنْتَ تَمَثَّلُهَا أَوْ كُنْتَ إِيَّاهَا

ومما استحسن لدعبل بن علي الخزاعي ، واستلطف معناه ، قوله :

سَرَى طَيْفٌ سَعْدَى حِينَ حَانَ هُبُوبُ

وَقَضَّيْتُ شَوْقِي حِينَ كَادَ يَتُوبُ

وَلَمْ أَرَ مَطْرُوقًا يَحُلُّ بِطَارِقٍ وَلَا طَارِقًا يَشْرِي الْمُنَى وَيُثِيبُ

وقال البحرى أيضا ^(١) :

أَمَّا الْخِيَالُ فَإِنَّهُ لَمْ يَطْرُقِ إِلَّا بِعَقَبِ تَشَوُّفٍ وَتَشَوُّقِ

قَدْ زَارَ مِنْ بَعْدِ فَهَنَهُ مِنْ جَوَى ضَرِمَ وَسَكَنَ مِنْ فَوَادٍ مُقْلَقِ ^(٢)

وَلَرُبَّمَا كَانَ الْكَرَى سَبَبًا لَنَا بَعْدَ الْفِرَاقِ إِلَى الْإِقْمَاءِ فَفَلْتَقِ

أما البيت الثالث ، فله ما شاء من قبول ، وحلاوة وطلاوة .

وقال البحرى أيضا ^(٣) :

مِثَالُكَ مِنْ طَيْفِ الْخِيَالِ الْمَعَاوِدِ أَلَمْ بِنَا مِنْ أَفْقِهِ الْمَتَاعِدِ

يُحْيِي هُجُودًا مُنْتَشِينَ مِنَ الْكَرَى وَمَا نَفَعُ إِهْدَاءِ السَّلَامِ لَهَا جِدِ

(١) من قصيدة يمدح بها المعتز بالله (ديوانه ٢ : ١٤٢ طبع هندية) .

(٢) ديوانه : قد زار من بعد فسهكن من حشا .

(٣) من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان وابنه (ديوانه ١ : ١٣٥ طبع هندية) .

إِذَا هِيَ مَالَتْ لِلْعِنَاقِ تَعَطَّفَتْ تَعَطَّفَ أُمْلُودٍ مِنَ الْبَانِ مَائِدِ
إِذَا وَصَلْتَنَا لَمْ تَصِلْ عَنْ تَعَمُّدِ وَإِنْ هَجَرْتَ أَبَدْتَ لَنَا هَجَرَ عَامِدِ
وقال أيضا (١):

خَطَرَتْ فِي النَّوْمِ مِنْهَا خَطَرَةٌ خَطَرَةَ الْبَرْقِ بَدَا ثَمَّ اضْمَحَلُّ
أَيُّ زَوْرِ لَكَ لَوْ قَصْدًا سَرَى وَمُلِمَّ بِكَ (٢) لَوْ حَقًّا فَعَلْ
يَتَرَاءَى وَالْكَرَى فِي مُقَلَّتِي فَإِذَا فَارَقَهَا النَّوْمُ بَطَلْ
قَمْرٌ أَتْبَعْتُهُ مِنْ كَلَفٍ نَظَرَ الصَّبِّ بِهِ حَتَّى أَفْلْ

ولهذه الأبيات الملاحه كلها ، والحلاوة جميعها ، وللبيتين الأولين منها الفضل الظاهر عليها ، ومارأينا الأمدى طرب لما أوردتها ، وما شرع في شيء من مدحها ، وقد يفعل ذلك فيما هو دونها أو مثلها ، وهي جديرة بالطرب ، حقيقة بالعجب .

وقال أيضا :

(٣) طَرَقْتَنَاهُ فِي الْخِيَالِ (٤) نَعَمْ (٥) أُمُّ بَكْرِ فَاسْعَفَتْ أُمُّ بَكْرِ
فِي بُدُوٍّ مِنَ الشَّبَابِ عَلَيْهَا وَرَقٌ (٦) مِنْ جَدِيدِهِ الْمَسْبُكِرِ (٧)

(١) من قصيدة يمدح بها الطائي (ديوانه ٢ : ١٨١ هندية) .

(٢) ديوانه : منك . (٣) من قصيدة يمدح بها محمد بن بدر (ديوانه ١ :

١٩ هندية) . (٤) ديوانه : وفي . (٥) ديوانه : نغمي .

(٦) ورق الشباب : نضرته وحداثته . (٧) المسبكر : الشاب التام المعتدل .

كَمَلْتُ أَرْبَعًا لَهَا بَعْدَ عَشْرِ وَمَدَى الْبَدْرِ أَرْبَعٌ بَعْدَ عَشْرِ
خَلَقْتُ^(١) دَارَهَا بِحَزْوَى فَبَاتَتْ بَيْنَ سَحَرَى شَرَوَى الضَّجِيعِ وَنَحْرَى
لَوْ دَرْتُ مَا أَتَيْتُ لَمَنْتُ بِنُجْحٍ لَمْ يُكَدِّرْ وَنَائِلٌ غَيْرِ نَزْرِ

ومعنى البيت الأول ، أنها طرقتنا في غير الخيال وفي الخيال ، ولولا
ذلك لم يكن للواو العاطفة معنى ، والمسبكر^(٢) : التام الكامل .

وقال أيضا^(٣) :

قُلْ لِلْخِيَالِ إِذَا أَرَدْتَ فَعَاوِدِ تُدْنِي الْمَسَافَةَ مِنْ هَوَى مُتَبَاعِدِ
فَلَأَنْتَ فِي نَفْسِي وَإِنْ غَنَيْتَنِي وَبَعَثْتَ لِي الْأَشْجَانَ أَحْلَى وَافِدِ
بَاتَتْ بِأَحْلَامِ النَّيَامِ تَعُرُّنِي رُودُ التَّثْنَى كَالْقَضِيبِ الْمَائِدِ
ضَاهَتْ بِمَحَلَّتِهَا تَلَهَّبَ خَدَّهَا حَتَّى غَدَتْ فِي أَرْجُوَانٍ جَامِدِ^(٣)

وضع البحتری قوله : « رُود التثني » في غير موضعه ، لأن الرُودة
من النساء السريعة الشباب ، وهذا وصف لا يليق بالتثني ، وإنما يليق
بالمرأة ذات التثني . وعذر البحتری في ذلك من وجهين :

(١) ديوانه : خالفت .

(٢) من قصيدة يمدح بها صاعد بن مخلد (ديوانه ١ : ١٥٨ طبع هندية) .

(٣) ديوانه : جاسد . تقول جد به الدم يجسد : إذا ألصق به فهو جاسد ، والمجسد

أحدهما : أنه استعار للتثني وصف صاحبه للمقاربة .

والآخر: أن سرعة الشباب لا تكون إلا مع النعمة والرطوبة ، فحمل على المعنى ، وأراد أنها ناعمة التثني ، أو رطوبة التعطف .
وقال أيضا ^(١) :

بَعَيْنَيْكَ إِغْوَالِي وَطُولُ شَهْمِي وَإِخْفَقُ عَيْنِي مِنْ كَرِّ وَخُفُوقِ
عَلَى أَنْ تَهْوِيَا إِذَا عَارَضَ اطَّبَى ^(٢) سُرَى طَائِفٍ ^(٣) فِي غَيْرِ وَقْتِ طُرُوقِ
سَرَى جَائِبًا لِلْخَرْقِ يَخْشَى وَلَمْ يَكُنْ مَلِيًّا بِإِسْرَاءِ وَجُوبِ خُرُوقِ
فَبَاتَ يُعَاطِنِي عَلَى رِقَبَةِ الْعِدَا وَيَمَزُجُ رِيْقًا مِنْ جَنَاهُ بِرِيقِ
وَبِتُّ أَهَابُ الْمِسْكَ مِنْهُ وَأَتَقَّى رُدَاعَ ^(٤) عَبِيرٍ صَائِلِكِ ^(٥) وَخَلُوقِ
أَرَى كَذِبَ الْأَحْلَامِ صِدْقًا وَكَمْ صَغَتْ

إلى خبرِ أَذْنَايَ غَيْرِ صَدُوقِ
وما كَانَ مِنْ حَقٍّ وَبَطْلٍ فَقَدْ شَفَى حَرَارَةَ مَتَبُولٍ وَخَبْلَ مَشُوقِ
وقال أيضا ^(٦) :

أَحْبَبُ إِلَيَّ بِطِيفِ سَعْدَى الْآتِي وَطُرُوقِهِ فِي أَعْجَبِ الْأَوْقَاتِ

(١) من قصيدة يمدح بها أحمد بن طولون (ديوانه ٢ : ١٤٠) .

(٢) اطبى : صرف . (٣) ديوانه : طارق .

(٤) رداع : أثر الطيب في الجسم . (٥) صائك : لاصق ، من صاك به الطيب ، يصيك : أى لصق به .

(٦) من قصيدة يفتخر ، ويعاتب قوما من أهل بلده ، (ديوانه ١ : ٩٦) .

أَتَى اهْتَدَيْتِ لِحَرِّ مِينَ تَصَوَّبُوا لِسَفُوحِ مَكَّةَ مِنْ رُبَا عَرَافَاتِ
 ذَكَرْتَنَا عَهْدَ الشَّامِ وَعَيْشَنَا بَيْنَ الْقِبَابِ الْبَيْضِ وَالْهَضْبَاتِ
 إِذَا أَنْتِ شَكْلُ مُخَالِفٍ وَمُؤَافِقٍ وَالْدَّهْرُ فَيْكِ مِمَّا نَعَى وَمُؤَاثِرِ
 لَوْلَا مَكَاتِرَةُ الْخُطُوبِ وَنَحْتُهَا مِنْ جَانِبِي لَكُنْتُ مِنْ حَاجَاتِي
 وَقَالَ أَيْضًا (١) :

إِذَا نَسِيتُ هَوَى لَبْلَى أَشَادَ بِهِ

طَيْفٌ سَرَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ إِذَا جَنَحَا
 دَنَا إِلَى عَلَى بُعْدٍ فَأَرَقَنِي حَتَّى تَبْلُجَ ضَوْءُ الصُّبْحِ فَاتَّضَحَا
 عَجِبْتُ مِنْهُ تَخَطَّى الْقَاعَ مِنْ إِخْمٍ وَجَاوَزَ الرَّمْلَ مِنْ خَبْتٍ وَمَا بَرَحَا
 قَالَ الْآمِدَى : كَيْفَ يَقُولُ تَخَطَّى الْقَاعَ ، وَجَاوَزَ الرَّمْلَ ، ثُمَّ يَقُولُ
 وَمَا بَرَحَا ، ثُمَّ يَقُولُ : كَأَنَّهُ أَرَادَ مَا بَرَحَ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، ثُمَّ سَأَلَ نَفْسَهُ ، فَقَالَ : فَإِنْ
 قِيلَ هِيَ الَّتِي لَمْ تَبْرَحَ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَأَمَّا خَيَالُهَا إِذَا طَرَقَ وَهِيَ بَعِيدَةٌ ، فَقَدْ
 بَرَحَ . وَأَجَابَ بِأَنَ خَيَالُهَا إِنَّمَا هُوَ صَوْرَتُهَا الَّتِي تَتَصَوَّرُ فِي النَّفْسِ ، وَالصُّورَةُ
 أَيْضًا غَيْرُ بَارِحَةٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ . فَقَوْلُهُمْ طَرَقَ الْخَيَالُ ، وَزَارَ الْخَيَالُ : مُجَازٌ .
 وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ وَمَا بَرَحَا : أَيْ مَا بَرَحَتْ هِيَ ، وَجَعَلَ خَيَالُهَا بَدَلًا مِنْهَا ،
 وَوَضَعَهَا فِي مَوْضِعِهَا ، لِأَنَّهُ هِيَ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ جَرِيرَ :

(١) مِنْ قَصِيدَةِ يَمْدَحُهَا الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ (دِيَوَانُهُ ١ : ١١٤) .

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتُ الزَّيَّارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ^(١)

قال الأمدى : وقيل إنه أراد خيالها فوضع ذلك في موضعه ، لأن خيالها ليس هو شيئا غير صورتها . قال : وقد استجفى الناس قوله : « فارجعي بسلام » ، وإنما قال هذا ، لأنه عاتب عليها ، ألا ترى إلى قوله بعد هذا :

لَوْ كَانَ عَهْدُكَ كَالَّذِي عَاهَدْتِنَا^(٢) لَوَصَلْتَ ذَاكَ فَكَانَ غَيْرَ رِمَامٍ

قال : وطرفة أول من طرقة ، فقال :

فَقُلْ لِحَيَالِ الْحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهَا فَإِنِّي وَاصِلٌ حَبْلٌ مِّنْ وَصَلٍ

قال : وهذا أعذر من جرير ، لأنه قال : فإنني واصل حبل من وصل . فدل على أن الحنظلية هجرته وواصلته غيرها ، فطرد خيالها . ونقول إن لبيت البحترى معنى ما وقع للأمدى ، وهو أشبه بالصواب مما ذكره ، وهو أنه لما قال : عجبت منه تخطى القاع ، وجاوز الرمل ، وذلك كله لم يكن ، وإنما تشبه له وتخيل إليه مالا حقيقة له ، أراد أن تبين هذه الإضافة غير حقيقية ، فكان له أن يقول : وما تخطى ، ولا جاوز الرمل ، كما قال في موضع آخر : « أتني اهتديت وما اهتديت » ، فعدل إلى أن قال : « وما برحا » لأن من لم يبرح مكانه ماتخطى ولا جاوز ، فكأنه استعار الطيف الذي

(١) من قصيدة يرد بها على الفرزدق (ديوانه ص ٥٥١ ط الصاوي) .

(٢) ديوانه ص ٥٥١ : حدثتنا .

ما تخطى الوصف له بأنه مابرح ، وإن كان لا يليق به من كل الوجود ، لأن الذى لم يبرح مافارق مكانه ، ولا زال من موضعه . وهذا وصف لا يليق بالطيف ، لكن ما لم يبرح ما تخطى . والطيف ما تخطى ، فكأنه مابرح . فأما قوله : إن الصورة أيضا غير بارحة فكلام غير صحيح ، لأن الطيف الذى يتصور ويتمثل ، ليس بشيء يشار إليه ، فتثبت له البراح ، أو تنفى عنه . وقوله : يجوز أن يريد بقوله مابرحا : أى مابرحت هى ، ووضع خيالها فى موضعها قريب .

فأما بيت جرير الذى أنشده فالأولى فى معناه : أن يريد أنها طرقتة بنفسها زائرة على الحقيقة لا طيفها . فقال لها عتبا عليها ، أو خوفا من وضع الزيارة فى غير موضعها : ارجعى بسلام ، لأنه قد قال فى البيت : وليس ذاهين الزيارة . ومن خاف الرقباء ، ولم يأمن على محبوبه من الأقوال الخارجة ، واتهم الفادحة ، استعفى مما يطرق ذلك ويشمره . وليس فى لفظ البيت ما يدل على اختصاص بالخيال ، لأن الطروق الذى هو الزيارة ليلا ، يكون لغير الخيال ، كما يوصف به الخيال ، وهو فى غير الخيال حقيقة ، وفى الخيال مجاز . وحمل الكلام — إذا أمكن — على الحقيقة أولى .

وأى معنى لقوله : « وليس ذا حين الزيارة » إن كان عنى الطيف ؟ وله كل معنى إذا أراد به الزيارة الحقيقية . والذى قاله الآمدى قد قاله قوم ، وغيره أصوب منه وأقرب . فأما بيت طرفه ، فهو صريح فى طرد الخيال

وقد بين عن العلة في طرده له ، وليس كبيت جرير الذى هو بغير الخيال
أشبهه ، وفيه أوقع .

وقال البحتري^(١) أيضا :

أَمْنِكَ تَأْوُبُ الطَيْفِ الطُرُوبِ حَيْبٌ جَاءَ يَهْدِي مِنْ حَبِيبِ
تَخَطَّى رِقْبَةَ الْوَاشِيْنَ وَهَنًا وَبُعْدَ مَسَافَةِ الْحَزَنِ^(٢) الْمَجُوبِ
يُكَاذِبُنِي وَأَصْدُقُهُ وَدَادًا وَمِنْ كَلَفِ مُصَادَقَةِ الْكَذُوبِ

وقال أيضا^(٣) :

عَجَبًا لَهْجَرِكَ قَبْلَ تَشْتِيتِ النَّوَى مِنَّا وَوَصْلِكَ فِي التَّنَائِي أَعْجَبُ
أَتَى اهْتَدَيْتِ وَمَا اهْتَدَيْتِ لِمُغْمَدٍ فِي لَيْلِ عَانَةِ وَالْثَّرِيَّا تَجْنُبُ
أَتْرَكْتِهِ بِالْخَيْلِ ثُمَّ طَلَبْتِهِ بِخَلِيجِ عَانَةِ حِينَ عَزَّ الْمَطْلَبُ

وقال أيضا^(٤) :

إِذَا قُلْتُ قَضَيْتُ الصَّبَابَةَ رَدَّهَا خَيْالٌ مُلِّمٌ مِنْ حَبِيبٍ مُجَانِبِ
يَجُودُ وَقَدْ ضَنَّ الْأَلَى شَغْفِي بِهِمْ وَيَدْنُو وَقَدْ شَطَّتْ دِيَارُ الْحَبَائِبِ
تُرِينِيكَ أَحْلَامُ النَّيَامِ وَيَمْنَنَا مَقَاوِزُ يَسْتَفْرِغْنَ جُهْدَ الرَّكَائِبِ

(١) من قصيدة يمدح بها هيثم بن هارون بن المعمر (ديوانه ١ : ٨٤) .

(٢) ديوانه : الخرق . (٣) هذه الأبيات ليست في ديوانه طبع هندية .

(٤) من قصيدة يمدح بها المعتز (ديوانه ١ : ٩٠) .

وقال أيضا^(١) :

سَرَى الطِيفُ مِنْ ظُمِيَاءَ وَهَنَا فَمَرْحَبًا

وَأَهْلًا بِمَسْرَى طِيفِ ظُمِيَاءَ مِنْ مَسْرَى

أَلَمَّ بِسَفَرٍ لَاجِبِينَ وَأَيْنُقٍ

ذَرَعْنَ بِهِمْ^(٢) مِنْ أَذْرَعَاتٍ إِلَى بَصْرَى

وقال أيضا^(٣) :

قَدْ كَانَ طِيفُكَ مَرَّةً يُغْرَى بِي يَعْتَادُ رَكْبِي طَارِقًا وَرِكَابِي

فَالآنَ مَا يَزْدَارُ غَيْرَ مَغَبَّةٍ وَمِنْ الصَّدُودِ زِيَارَةَ الْإِغْبَابِ

قوله « ومن الصدود زيارة الإغباب » : من أطف الكلام ، وأشدّه

وصولا إلى كل قلب .

وقال أيضا^(٤) :

أَلَمْتُ وَهْلَ إِمَامُهَا لَكَ نَافِعُ وَزَارَتْ خِيَالًا وَالْعُيُونُ هَوَاجِعُ

بِنَفْسِي مَنْ تَنَأَى وَيَدْنُوَادُ كَارُهَا وَيَبْذُلُ عَنْهَا طِيفُهَا وَتَمَانِعُ

(١) من قصيدة يمدح بها خمارويه (ديوانه ١ : ١٢) .

(٢) ديوانه : بنا .

(٣) من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدبر (ديوانه ١ : ١٤) .

(٤) من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان (ديوانه ٢ : ٧٦) .

وقال أيضا^(١) :

طَوَّلَ هذا الليلَ أن لا كَرَى يُرِيكَ مَنْ تَهَوَّى وأن لا هُجُوعُ
يَمِضِي هَزِيعٌ لم يَطْفُ طَائِفٌ مِنْ عِنْدِ أَسْمَاءٍ وَيَأْتِي هَزِيعُ

وقال أيضا^(٢) :

وَيَهِيحُنِي أن لا يَزَالُ يَزُورُنِي مِنْهُ خَيَالٌ ما يَغِبُ مُطِيفُهُ

وقال أيضا^(٣) :

يَهْدِي الخيالُ لنا ذِكْرِي إذا طافا وَافِي يُخَادِعُنَا والصُّبْحُ قد وَافِي
تَصْدُقُ^(٤) المنعَ سَأَمِي حِينَ نَسَأُهَا نَيْلًا وَتَكْذِبُنَا وَصَلًا^(٥) وَإِسْعَافًا

وقال أيضا^(٦) :

وَزَوْرُ خَيَالٍ بَعْدَ وَهْنٍ أَلَمَ بِي وَأَحْشَاؤُهُ مِنْ فَرَطٍ خِيفَتَهُ تَهْفُو

إن قيل كيف يليق هذا الوصف بالخيال ، قلنا : المعنى أن أحشاء
صاحب هذا الطيف ، لو زارني هذه الزيارة ، تهفو من الخليفة ، فأجري على
الطيف ما هو لصاحب الطيف ، وهذا توسع يُحتمل للشعراء ، ويحسن منهم .

وقال أيضا^(٧) :

قَرَرْتُ فِي دُجْنَةِ اللَّيْلِ يُوفِي أَمْ خَيَالٌ مِنْ عِنْدِ سَعْدَى يُوَفِّي

(١) من قصيدة يمدح بها الشاه بن ميكال (٢ : ٩٥) .

(٢) يمدح الفتح بن خاقان (ديوانه ٢ : ١١٤) وفيه : منها خيال .

(٣) يمدح الطائي (٢ : ١٠٦) . (٤) ديوانه : تصدقنا المنع سعدى .

(٥) ديوانه : بذلا . (٦) ليس في ديوانه طبع هندية .

(٧) يمدح أحمد بن الإسكافي (ديوانه ٢ : ١٠٨) .

مُسْعِفٌ بِالذِي مَتَى سُمِّلَتْهُ عَدِمَتْ حَظُّهَا مِنَ الْإِسْعَافِ
وقال أيضا (١) :

مَرْحَبًا بِالْخِيَالِ مِنْكَ الْمُطِيفِ فِي شَمُوسٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِكُشُوفِ
كَيْفَ زُرْتُمْ وَدُونَكُمْ رَمْلُ يُبْرِينَ فَقَلْبُجٌ وَالْحَيُّ غَيْرُ خَلُوفِ
وَرِدَاءِ الظُّلُمَاءِ فِي صِبْغِهِ الْأَسْوَدِ وَالصُّبْحُ مِنْ وَرَاءِ سُجُوفِ
زَوْرَةٍ سَكَنْتَ غَلِيلًا وَقَدْ هَا جَتْ غَلِيلًا مِنْ هَائِمٍ مَشْغُوفِ
وقال أيضا (٢) :

خِيَالُ مَاوِيَّةَ الْمُطِيفُ أَرْقَ عَيْنًا لَهَا وَكَيْفُ
أَكْثَرَ لَوْحِي عَلَى هَوَاهَا رَكِبَ عَلَى دِمْنَةٍ وَقُوفُ
وقال أيضا (٣) :

وَطِيفٌ سَرَى حَتَّى تَنَاوَلَ فَتِيْمَةً سَرَوْا يَحْمِلُونَ (٤) اللَّيْلَ حَتَّى تَمَزَّقَا
وقال أيضا (٥) :

تَبْهَشُ (٦) النَّفْسُ إِلَى زَوْرِ الْكَرَى وَمَتَاعُ النَّفْسِ فِي زَوْرِ الْأَرْقِ

-
- (١) يمدح إبراهيم بن الحسن بن سهل (ديوانه ٢ : ١٠٣) .
(٢) يمدح عبدون بن مخلد (ديوانه ٢ : ١١٥) .
(٣) يمدح يوسف بن محمد (ديوانه ٢ : ١٢٩) . (٤) ديوانه : يلبسون .
(٥) يمدح صاعدا (ديوانه ٢ : ١٣١) .
(٦) تبهش : ترتاح له ، وتخف إليه .

وقال أيضا (١) :

أهلاً بذليكم الخيالِ المقبلِ فعلَ الذي نهواه أم لم يفعلِ

وقال أيضا (٢) :

فلا عهدَ إلّا أن يُعاوِدَ ذكرُها ولا وصلَ إلّا أن يزورَ خيالُها
وقد كنت أرجو وصلها بعد هجرها فقد بانَ مني هجرُها ووصلُها

وقال أيضا (٣) :

إذا أرسلت طيفاً يذكّرني الجوى رددتُ إليها بالنجاحِ رسولها

وقال أيضا :

أجِدّك إن لمّاتِ الخيالِ لمْذُكرتني بأيّامِ الوصالِ (٤)
تورّقني إذا الرّقباءُ ناموا أناةُ الخطوفاتنةُ الدّلالِ

وقال أيضا (٥) :

هذا الحبيبُ فرحاً بخياله أني اهتدي والليلُ في سرّباله
بل كيف زار ودونه مجهولةً من سببِ قفرٍ تمور (٦) بآله

(١) ليس في ديوانه طبع هندية . (٢) يمدح المتوكل (ديوانه ٢ : ١٧٩) .

(٣) يمدح إسماعيل بن بلبل (ديوانه ٢ : ١٩٧) .

(٤) ليست في ديوانه طبع هندية .

(٥) يمدح أبان نهل (ديوانه ٢ : ١٩٠) . (٦) ديوانه : يمور .

سارٍ تجاوزَ مِنْ شقائقِ عالجٍ بُعدَ المدَى مِنْ سَهْلِهِ وَجِبَالِهِ
حَتَّى تَقْنَصَهُ الْكَرَى لِمُتِمِّ لَوْلَا الْكَرَى لَشَفَاهُ مِنْ بَلْبَالِهِ

يريد : لولا أن زيارته في الكرى ، وهى تخيل وتمثيل ، لشفته هذه
الزيارة من بلباله ، لأنها إذا لم تكن في الكرى كانت حقيقة ، فانتفع بها ،
ووقعت في موقعها .

وقال أيضا ^(١) :

زائرٌ في المنامِ يَهْجُرُ يقظاً نَ ويدنو مع المنامِ وصاله
طارقٌ أرهقَ الزيارةَ والصبحُ مُطِلٌ أو قد دنا إطلاله

وقال أيضا ^(٢) :

وخيالٍ أَلَمَّ منها عَلَى سَا عَةٍ هَجَرَ فَقَلَّتْ أَهْلًا وَسَهْلًا

وقال أيضا ^(٣) :

يُهَيِّجُ لى طيفُ الخيالِ صَبَابَةً فَللهِ ما طيفُ الخيالِ المَهَيِّجُ

وقال أيضا ^(٤) :

أَعَادَ شَكْوَى مِنَ الطَّيْفِ الذِّى اعْتَادَا رُشْدًا تَوَخَّيْتَ أُمَّ غَيَا وَإِفْسَادَا

(١) يمدح أبا بكر الكاتب (ديوانه ٢ : ٢٢٠) .

(٢) يمدح المعتز بالله (ديوانه ٢ : ١٦٩) .

(٣) يمدح إسماعيل بن بلبل (ديوانه ١ : ١٠٥) .

(٤) يمدح ابن الفياض (ديوانه ١ : ٢٠٢) وفيه : إفسادا فى موضع : إفسادا .

ألمَّ بي وبياضُ الصُّبحِ مُنْتَظَرٌ قد رَقَّ عَنْهُ سَوَادُ اللَّيْلِ أَوْ كَادَا
وقال أيضا (١):

ألمَّ بي طيفها وَهَنًا فَأَعْوَزَهُ عِنْدِي وَجُودٌ كَرَّيْ بِاللَّمْعِ مَطْرُودِ
وقال أيضا (٢):

خَطِيئَةٌ لَيْلَةٍ تَمْضِي وَلَمَّا يُورِّقُنِي خِيَالٌ مِنْ سُعَادِ
وَهَجَرُ الْقُرْبِ مِنْهَا كَانَ أَشْهَى إِلَى الْمَشْتَاكِ مِنْ وَصْلِ الْبِعَادِ
وقال أيضا (٣):

يَبِيتُ خِيَالُهَا مِنْهَا بَدِيلًا وَيَقْرُبُ ذِكْرُهَا عِنْدَ الْبِعَادِ
وقال أيضا (٤):

وَسَرَى خِيَالُكَ طَارِقًا وَعَلَى اللَّوَى عَيْسٌ مُطْلَحَةٌ وَرَكْبٌ هَاجِدُ
وقال أيضا (٥):

بَعْدَتْ دَارُهَا فَمَا مِنْ تَلَاقٍ غَيْرُ طَيْفٍ يَزُورُنِي فِي الْهَجُودِ

(١) من قصيدة يمدح بها أحمد بن عبد الوهاب (ديوانه ١ : ١٧٣) .

(٢) يمدح الفتح بن خاقان (ديوانه ١ : ١٣٨) .

(٣) يمدح عبد الله بن يحيى بن خاقان (ديوانه ١ : ١٦١) .

(٤) من قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد (ديوانه ١ : ١٤٢) .

(٥) يمدح المعز بالله (ديوانه ١ : ١٩٣) .

أَتَرَاهَا دَامَتْ عَلَى الْعَهْدِ أَمْ مِنْ عَادَةِ الْغَانِيَّاتِ تَقْضُ الْعُهُودِ
وقال أيضا (١) :

عَجَبًا لَطِيفِ خَيَالِكَ الْمُتَعَاهِدِ وَلَوْ صِلَاكِ الْمُتَقَارِبِ الْمُتَبَاعِدِ
يَدْنُو إِذَا بَعْدَ الْمَزَارِ وَيَنْتَنِي فِي الْقَرَبِ لَيْسَ أَخُو الْهُوَى بِمُعَانِدِ
مَاذَا أَرَادَ مُلِمُّ طَيْفِكَ فِي الْكَرَى مِنْ وَاعِلٍ بَيْنَ الْحَوَادِثِ شَارِدِ
مُتَحَيِّرٍ يَغْدُو بِعِزْمٍ قَائِمٍ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ وَجَدَّ قَاعِدِ
وهذه الأبيات حسنة ، ما يشينها إلا عجز البيت الثاني ، في قوله :

ليس أخو الهوى بمعاند

وطرح هذا البيت ، من أوله إلى هذا الموضع من آخره ، طرح صحيح
مليح ، فليته ختمه بمثل ما بدأ به . وللناظم سكرات وغمرات يدخل عليه
فيهن من الشبه مالا يكاد ينحصر وينضبط .
وقال أيضا (٢) :

فَإِنْ بَخِلْتِ فَلَا وَصْلَ وَلَا عِدَّةٌ (٣)

غَيْرُ اهْتِدَاءِ خَيَالٍ مِنْكَ زَوَّارِ

(١) يمدح الخضر بن أحمد (ديوانه ١ : ١٦٨) .

(٢) يمدح أبا صالح ويمدح المستعين (ديوانه ١ : ٢٢٢) .

(٣) ديوانه : صلة .

لا شَكلَ للقمرِ السَّارى علىَّ فما بَمَنتَ طُلُوعَهُ مِنْ طَيْفِكَ السَّارى
إِذْ ضارِعَ الشَّمْسِ فِي حُسْنٍ وَفِي مِقَّةٍ وَطالَعَ البدرَ فِي وَقْتٍ وَمَقْدَارِ
لَيْلٍ تَقْضَى وَمَا دَرَ كَتُّ مَأْرَبَتِي مِنْ اللِّقَاءِ وَمَا قَضَيْتُ أَوْطَارِي
وقال أيضا (١) :

تَقْضَى الصَّبَا إِلَّا خِيالًا يَعُودُنِي بِهِ ذُو دَلَالٍ أَحُورُ الطَّرْفِ فَاتِرُهُ
يَجُوبُ سَوَادَ اللَّيْلِ مِنْ عِنْدِ مُرْهَفٍ ضَعِيفِ قَوَامِ الْخَصْرِ سَوْدِ غَدَائِرُهُ
فِيذُ كِرْنِي الْعَهْدِ (٢) الْقَدِيمِ وَلَيْلَةٍ لَدَى سَمُرَاتِ الْجَزَعِ إِذْ نَامَ سَامِرُهُ
وقال أيضا (٣) :

مِنْ أَجْلِ طَيْفِكَ عَادَ مُظْلَمُ لَيْلِهِ أَهْوَى (٤) إِلَيْهِ مِنْ مُضَى نَهَارِهِ
وقال أيضا (٥) :

سَرَى مِنْ خِيَالِ الْمَالِكِيَّةِ مَا سَرَى فَتَمَّ ذَا الْقَلْبِ الْمُعَنَّى وَأَسْهَرَا
دُنُوءًا بِأَسْلَامِ الْكَرَى مِنْ بَعِيدَةٍ تُسِيءُ بِنَا فِعْلًا وَتَحْسُنُ مَنْظَرَا
وَمَا قَرَّبَتْ بِالطَّيْفِ إِلَّا لَتَمْتَوِي وَمَا وَصَلَتْ فِي النَّوْمِ إِلَّا لَتَهْجُرَا

(١) يمدح يوسف بن محمد (ديوانه ١ : ١١) . (٢) ديوانه : الوصل .

(٣) يمدح أبا عامر بن أحمد (ديوانه ٢ : ٨) . (٤) ديوانه : أحلى .

(٥) يمدح المعتز بالله (ديوانه ٢ : ٥٠) .

وقال أيضا^(١) :

لَا يَنِي يُوفِدُ الْحَبِيبَ إِلَيْنَا • كَذِبُ الطَّيْفِ سَكْرِيًّا وَغُرُورُهُ
زَائِرًا فِي الْمَنَامِ أَسْأَلُ هَلْ أَطُ رَقُهُ فِي مَنَامِهِ أَوْ أَزُورُهُ

وقال أيضا^(٢) :

هَجَرَتْ وَطِيفُ خِيَالِهَا لَمْ يَهْجُرِ • وَنَأَتْ بِحَاجَةٍ مُغْرَمٍ لَمْ يُقْصِرِ

وقال أيضا^(٣) :

أَطْلُبُ النَّوْمَ كَيْ يَعُودَ غِرَارُهُ • بَخِيلٌ يَحُلُو لَدَيَّ اغْتِرَارُهُ
كَمْ تَلَاقٍ أَرْتَكُهُ مِنْ قَرِيبٍ • صِلَةُ الطَّيْفِ طَارِقًا وَازْدِيَارُهُ

وقال أيضا^(٤) :

بَرَّحَ بِي الطَّيْفُ الَّذِي يَسْرِي • وَزَادَنِي سُكْرًا إِلَى سُكْرِي
وَنَشْوَةُ الْحُبِّ إِذَا أَفْرَطَتْ • بِالصَّبِّ جَازَتْ نَشْوَةُ الْخَمْرِ

وقال أيضا^(٥) :

مَا قُلْتُ لِلطَّيْفِ الْمُسَلِّمِ لَا تَعُدْ • تَنْشَى وَلَا كَفْكَفْتُ حَامِلَ كَاسِ

(١) يمدح ابن ميكال (ديوانه ٢ : ٣٠) .

(٢) يمدح المستعين (ديوانه ١ : ٢٢٣) .

(٣) يمدح ابن ميكال (ديوانه ٢ : ٢٨) . (٤) يمدح المعتز بالله (ديوانه ٢ : ٤٠) .

(٥) يمدح أبا الحسن بن عبد الملك (ديوانه ٢ : ٥٩) .

وقال أيضا^(١) :

فَلَمْ يَبْقَ مِنْ مَعْرُوفِهَا غَيْرُ طَائِفٍ يُلِمُّ بِنَا وَهَنَا إِذَا الرِّكْبُ هَوَّمَا
يَكَادُ وَمِضُّ الْبَرْقِ عِنْدَ اعْتِرَاضِهِ يُضِيءُ خِيَالًا جَاءَ مِنْهَا مُسَلَّمَا

وقال أيضا^(٢) :

أَكَانَ الصَّبَا إِلَّا خِيَالًا مُسَلَّمَا أَقَامَ كَرَجْعِ الطَّرْفِ حَتَّى تَصَرَّمَا

وقال أيضا^(٣) :

إِنَّ طَيْفًا يَزُورُنِي فِي الْمَنَامِ لَخَلِيٌّ مِنْ لَوْعَتِي وَغَرَامِي
غَادَةٌ بَتْ أَحْمِلُ اللَّوْمَ فِيهَا وَعِنَاءُ الْحَبِّ طَوْلُ الْمَلَامِ

وقال أيضا^(٤) :

وَإِذَا مَا أَبَى الْحَبِيبُ مُوَاتَا قِي تَبَلَّغْتُ بِالْخِيَالِ الْمَلَمِ

وقال أيضا^(٥) :

فَكَمْ لَيْلَةٍ أَهْدْتُ إِلَى خِيَالِهَا وَسَهْلُ الْفَيَافِي دُونَهَا وَحَزْؤُومَهَا^(٦)

(١) يمدح الفتح بن خاقان (ديوانه ٢ : ٢٢٧) .

(٢) يمدح الهيثم الغنوى (ديوانه ٢ : ٢٣٣) .

(٣) يمدح المتوكل (ديوانه ٢ : ٢٦٨) .

(٤) يمدح عبدون بن مخلد (ديوانه ٢ : ٢٤٥) .

(٥) يمدح المهتدى بالله (ديوانه ٢ : ٢٣٠) .

(٦) الحزم : ما كان من الأرض أغلظ من الحزن .

تَطِيبُ بِمَسْرَاهَا الْبِلَادُ إِذَا سَرَتْ فَيَنْعَمُ رِيَّاهَا وَيَصْنَفُو نَسِيمَهَا

وقال أيضا (١) :

إِذَا زَرُودُ دَنْتٍ مِّنَّا صِرَائِمُهَا فَلَا مُحَالَةَ مِنْ زَوْرِ يُوَافِينَا
بِتَنَاجُوحًا عَلَى كُشْبِ اللَّوَى وَأَبَى طَيْفٌ لِظَمِيَاءٍ إِلَّا أَنْ يُحْمِيَنَا

ومما يدخل في هذا الباب بعض الدخول، أن البحتریّ شبه زائرا زاره
بالخيال سرى وبه خيفة أن لا يكون لزيارته حقيقة ، فقال (٢) :

وَزَوْرٍ أَتَانِي طَارِقًا فَحَسِبْتُهُ خِيَالًا أَتَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرُقُ
أُقَسِّمُ فِيهِ الظَّنَّ طَوْرًا مُكَذِّبًا بِهِ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَطَوْرًا أَصَدِّقُ
أَخَافُ وَأَرْجُو بَطْلَ ظَنِّي وَصِدْقَهُ فَلِلَّهِ شَكِّي حِينَ أَرْجُو وَأَفَرِّقُ

وقال في هذا المعنى (٣) :

حَبِيبٌ سَرَى فِي خُفْيَةٍ وَعَلَى ذُعْرِ يَجُوبُ الدُّجَى حَتَّى التَّقْيِينَا عَلَى قَدْرِ
تَشَكَّكَتُ فِيهِ مِنْ سُرُورِي وَخِلْتُهُ خِيَالًا أَتَى فِي النَّوْمِ مِنْ طَيْفِهِ يَسْرَى

انقضى ما للبحتریّ .

وهذا ابتداء ما أخرجه من شعر أخى رضى الله عنه ، ونضر وجهه !

(١) هذه الأبيات ليست في ديوانه طبع هندية .

(٢) يمدح المعتر بالله (ديوانه ٢ : ١٢٤) . (٣) يمدح المعتر بالله (ديوانه ٢ : ٢) .

[ما أخرجه المؤلف من شعر أخيه الشريف ،

في طيف اخیال]

قال رضى الله عنه ، وهى قطعة مفردة :

إِنَّ طَيْفَ الْخِيَالِ زَارَ طُرُوقًا وَالْمَطَايَا بَيْنَ الْقَنَانِ وَشَغَبِ^(١)
فَوْقَ أَكْوَارِهِنَّ أَنْضَاءَ شَوْقٍ طَرَقُوا بِالْغَرَامِ دُونَ الرَّكْبِ
كَلَّمَا أَنْتِ الْمَطَى مِنْ الْإِعْيَاءِ أَنُؤَامِنَ الْجَوَى وَالْكَرْبِ
زَارَنِي وَاصِلًا عَلَى غَيْرِ وَعْدٍ وَانْتَنَى هَاجِرًا عَلَى غَيْرِ ذَنْبِ
كَانَ قَلْبِي إِلَيْهِ رَائِدَ عَيْنِي فَعَلَى الْعَيْنِ مَنَّةٌ لِلْقَلْبِ
بِتُّ أَلْهُو بِنَاعِمِ الْجَيْدِ غَضٍّ وَفَمَ بَارِدِ الْمُجَاجَةِ عَذْبِ
بَلَّ وَجْدِي وَمَنْ رَأَى الْيَوْمَ قَبْلِي نَاقِعًا لِلْغَلِيلِ مِنْ غَيْرِ شُرْبِ
سَاحِجًا لِي عَلَى الْبَعَادِ بَنِيْلٍ كَانَ يَلْوِيهِ فِي زَمَانِ الْقُرْبِ
كَانَ عِنْدِي أَنْ الْغُرُورَ لَطَرْفِي فَإِذَا ذَلِكَ الْغُرُورُ لِقَلْبِي

(١) انظر ديوان الشريف الرضى (١ : ١٣٩) بيروت . وقد وردت كلمة شغب

بالعين المهملة فى ديوانه المخطوط . انظر ورقة رقم ١٥٩ مخطوط رقم ١٤٠

أدب بدار الكتب . والصواب : بالغين ، وهو منهل بين المدينة والشام .

القَنان وشَغَب : موضعان معروفان . ومعنى كان قلبي إليه رائد عيني :
أن التخيل والتصوير إنما هو للقلب ، فكأن القلب خيّل للعين أنها ترى
حبيبها ، فالمِنَّة له عليها .

والبيت الأخير : معناه أنى كنت أضيف الغرور إلى طرفي ، وفي النوم
صار الغرور لقلبي ، لأنه خيّل لي ما لاحقيقة له .

ولهذا المعنى نبأ لا بد من أن أذكره ، وهو أننى لما كنت قلت في جملة قصيدة :

وعهذى بتمويه عين الحبِّ تنمُّ على قلبه الطائر
فلما التقينا برغم الرِّقا دِ مَوْهَ قلبي على ناظري

وذلك على ما أظن في سنة نيف وثمانين وثلاث مئة ، تداول أهل الأدب
إنشاد هذه الأبيات ، واستغربوا هذا المعنى ، وشهدوا بأنه مستجدٌّ ، غير
مسبوق إليه ، ولا متعرّض له .

وسمع أخى ، رضى الله عنه ، هذه الأبيات ، لأنه قلما كان يخرج لى
شئ من الشعر ، إلّا ويسمعه وينشده ، ولا يخرج له - رحمه الله - طول حياته
إلّا ما ينشده ، فشهد لهذا المعنى بأنه مبتكر مخترع ، وأنه مستحسن
مستعذب . ولم أسمع له - رحمه الله - طول حياته في هذا المعنى شيئاً . ولما
تصفحت شعره - رضى الله عنه - لإخراج ما يتعلق بالطيف في هذا الوقت ، وهو
سنة نيف وعشرين وأربع مئة ، وجدت هذه الأبيات البائبة ملحقة بخطه

— رحمه الله — فى الجزء الثانى من شعره ، فى حاشية ، فنقلتها عنه كما وجب ،
لأنها بخطه الذى لأشك فيه .

ولست أعلم كيف جرت الحال فى هذا المعنى ، وهل قصد ، رحمه الله ،
إلى نظمه على علم ، حتى لا يخلو من شعره هذا المعنى المستغرب المستعذب ،
أو أنسى — رحمه الله — سماعه له ، وقذف به خاطره ، وجرى على هاجسه ، فأثبتته
تقديرا على أنه مبدع له ، لا متبع فيه . فكثيرا ما يلحق الشعراء ذلك ،
فيواردون فى بعض المعانى المسبوق إليها ، وقد كانوا سمعوها فأنسوها .
فالخواطر مشتركة ، والمعانى معرضة لكل خاطر ، جارية على كل هاجس .
وكيف جرى الأمر ، وعلى أى القسمين كان ، فإن العنصر واحد ، والمعدن
واحد ، وأينا سبق إلى معنى ، فالآخر بالنَّجَر والسَّنَخ إليه سابق ، وبه عالق .
وفى البيت الذى أوله :

كان قلبى إليه رائد عيني

إلمام بهذا المعنى ، لأنه أضاف الخيال إلى القلب ، لأنه فيه يتمثيل ،
وله يتمثل ، والبيت الأخير الذى أوله :

كان عندى أن الغرور لطرفى

هو الذى استوفى فيه المعنى الذى فى شعرى ، لأنه أضاف الغرور فى النوم
إلى القلب ، بعد أن كان مضافا إلى العين . ومع هذا التشاكل والتجانس ،

لما نظمته أنا مزية ظاهرة ، لأننى قلت : إن من العادة أن تغرَّ عين الحب قلبه . وفى الخيال غرَّ قلبه عينه . وهذا التفصيل لا يوجد إلا فى أبياتى .

وله من أثناء قصيدة :

طرقَ الخيالَ ببطْنٍ وَجَرَةً بَعْدَ مَا زَعَمَ العواذِلُ أَنَّهُ لَا يَطْرُقُ^(١)
أَتَحَنَّنَّا بَعْدَ الرُّقَادِ وَقَسْوَةً أَيَّامَ أَصْفِيكَ الْوَدَادِ وَأُمْدُقُ^(٢)
أَنَّى اهْتَدَيْتِ وَمَا اهْتَدَيْتِ وَبَيْنَنَا سُورٌ عَلَىَّ مِنَ الظَّالِمِ وَخَنَدُقُ

هذه أبيات ناصعة رائعة، عليها مسحة من أعرابية ، وعَبَقَةٌ من بدوية .

ومعنى زَعَمَ العواذِلُ أَنَّهُ لَا يَطْرُقُ : أنهم ظنوا ذلك واعتقدوه .

وله ابتداء قصيدة :

أَرَأَيْتُ مِنْ طَيْفِ الْخِيَالِ وَصَالَا وَيَأْبَى خِيَالٌ أَنْ يَزُورَ خِيَالَا^(٣)
وَهَلْ أَبْقَتِ الْأَشْجَانُ إِلَّا مُثَلَّلَا تَعَاوَدَهُ أَيْدَى الضَّنَى وَمِثَالَا
أَلَمْ بَنَّا وَاللَّيْلُ قَدْ شَابَ رَأْسُهُ وَقَدْ مَيَّلَ الْغَرْبُ النُّجُومَ وَمَالَا
وَأَنَّى اهْتَدَى فِي مُدْهِمٍ ظَلَامِهِ يَخُوضُ بِحَارًا أَوْ يَجُوبُ رِمَالَا
تَأَوَّبَ مِنْ نَحْوِ الْأَحْبَةِ طَارِدَا رُقَادَى وَمَا أَسْدَى إِلَى نَوَالَا

(١) ديوانه (٢ : ٥٤٢) بيروت . (٢) أمدق : لم تخلصى لى الود .

(٣) من قصيدة يمدح بها أبا الفتح عثمان بن جنى (ديوانه ٢ : ٦٤٠) بيروت .

أوائلَ مَسَّ الغُمُضِ أَجْفَانِ مَقَاتِي كما قاربَ القومُ العَطَاشُ صِلَالَا
 الصَّلَال : جمع صَلَّة ، وهى أرض مُطَرَّت بين أرضين لم تُمَطَّرَا :
 وما كانَ إِلا عَارِضًا من طَمَاعَةٍ أَزالَ الكَرَى عن مَقَلَّتِي وَزَالَا
 أما قوله رحمه الله :

* وَيَأْبَى خِيَالٌ أَنْ يَزُورَ خِيَالَا *

فإنما أراد أن الخيال الذى يطرق فى النوم ، ويتمثل للراقد ، يأبى أن
 يزور النحيل المدنف ، الذى قد صار خيالاً ، من النحافة والنحول . وإنما
 سُمِّي الناحل الذى قد ذاب جسمه ، وذهب لحمه ، وغاضت نضارته ،
 وذهبت غَضاضته ، خيالاً ، تشبيهاً بالخيال الذى يتمثل للنائم ، وهو مما لا حقيقة
 له ولا وجدان ، فأجرى من زاد نحوه ، فصار عند الرؤية غير متحقق
 ولا متيقن ، مجرى الخيال فى النوم ، الذى لا يتحقق ، وإنما يُتَخَيَّل ، وما زالت
 الشعراء تصف الناحل بأنه خيال ، لا يُحَسُّ ولا يُدْرِك ولا يُعْلَم .
 ولعمرو بن قميئة ، ويقال إنه أول من نطق بوصف الطيف .

نَأْتِكَ أُمَامَةٌ إِلَّا سُؤَالَا وَإِلَّا خِيَالًا يُوَافِي خِيَالَا
 تُوَافِي مَعَ اللَّيْلِ مُسْتَوِطْنًا وَتَأْبَى مَعَ الصُّبْحِ إِلَّا زِيَالَا
 خِيَالٌ يُخَيِّلُ لِي نَيْلَهَا وَلَوْ قَدَرْتُ لَمْ يُخَيِّلْ نَوَالَا

فانظر إلى هذا الطبع المتدفق ، والنسيج المطرد المتسق ، من أعرابى قبح ،
 قيل إنه مفتتح لوصف الطيف . وكأنه لانطباع سبكه ، وجودة وضعه ،
 قد قال فى هذا المعنى الكثير ، ونظم منه الغزير ، وقلب ظاهره وباطنه ،
 وبأشـر أوله وآخره ، وكأنه قد سمع فيه من أقوال المحسنين ، وإجادة
 المجيدين ، ماسلك منهجه ، وأخرج كلامه مُخرجه . ولكن الله تعالى أودع
 هؤلاء القوم من أسرار الفصاحة ، وهداهم من مسالك البلاغة ، إلى ماهو
 ظاهر باهر . ولهذا كان القرآن معجزا ، وعلمًا على النبوة ، لأنه أعجز قوما
 هذه صفاتهم ونعوتهم .

ونظير قول ابن قميّة قولُ المجنون :

وَإِنِّى لَأَسْتَغْشِى زَمَانِى نَعْسَةً لَعَلَّ خَيْالًا مِنْكَ يَلْقَى خَيْالِيَا

وإنما أراد: لعل خيالك الذى هو طيف يلقانى . ووصف نفسه بأنه
 خيال لنحوه ، وخفاء شخصه . لواجه لقول المجنون إلا ذلك .

ومن مليح ما قيل فى ذلك قول الشاعر :

وَذُبْتُ حَتَّى صِرْتُ لَوْزُجَ بِي فِى مُقَلَّةِ الْوَسَنَانِ لَمْ يَنْتَبِهْ

فأما قوله رحمه الله : « وَأَنِّى اهْتَدَى فِى مَدْلَهْمٍ ظَلَامِهِ » إلى تمام
 البيت ، فما زالت الشعراء فى الشعر القديم والحديث ، تتعجب من اهتداء
 الطيف إلى المضاجع ، وخفىّ المواضع ، مع الظلام المضلل للشرارة ، والبعد

القاطع للُبْغَاة . وهذه جادة مسلوكة ، وطريق مَهْمَع ، وما ورد في ذلك
أكثر من أن يُحصى .

ومن قديم الشعر في ذلك قول الشاعر :

فقلتُ لها أُنِّي اهتديتِ لفتيةٍ أناخوا بجمعِاجٍ قلائصَ سُهْمَا
فَقَالَتْ كَذَاكَ العاشِقونَ وَمَنْ يَخْفُ عِيونَ الأَعَادِي يجعلُ اللَّيْلَ سُلْمَا

وقال النظَّارُ الفقعسيُّ ، وأحسنَ كل الإحسان :

أُنِّي اهتدتُ لمناخنا جُمْلُ وَمِنَ الكَرَى لَعْيُونِنَا كُحْلُ
طَرَقَتْ أَخَا سَفَرٍ وَنَاجِيَةً خَرَقَاءَ يَغْرَقُ بَيْنَهَا الرَّحْلُ
فِي مَهْمَةٍ هَجَعَ الدَّلِيلُ بِهِ وَتَعَلَّتْ بِصَرِيْفِهَا البُزْلُ
وَكَأَنَّ أَحَدَثَ مَنْ أَلَمَّ بِهِ دَرَجَتْ عَلَى آثَارِهِ النَّمْلُ

وقال عبيد بن الأبرص :

طَافَ الخِيَالُ عَلَيْنَا لَيْلَةَ الوَادِي مِنْ أُمَّ عَمْرٍو وَلَمْ يُلِمِّمْ بِمِيعَادِ
أُنِّي اهتديتِ لِرَكْبٍ طَالَ حَبْسُهُمْ فِي سَبَسَبٍ بَيْنَ دَكْدَاكِ^(١) وَأَعْقَادِ

وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، قال : أخبرني محمد بن يحيى ،
قال : أخبرنا محمد بن زكريا الغلابي ، قال : قرأت على العباسة بنت السيد
ابن محمد الحميري ، لأبيها :

لِعَلْوَةٍ زَارَ الزَّائِرُ المَتَاوِبُ وَمِنْ دُونِ مَسْرَاهَا الصِّفَاحُ فَكَبَّكَبُ
تَسَدَّتْ إِلَيْنَا بَعْدَ هَدْوٍ وَدُونَهَا طَوِيلُ الذَّرَا مِنْ بَطْنِ نَحْلَةٍ أَغْلَبُ

(١) أرض فيها غلظ . والأعقاد : جمع عقد بالتحريك ، وعقد بكسر القاف ،
وهو الرمل المتجمع .

فقلتُ لها أُنِّي اهتديتِ ودوننا قِفَارُ تَرَامَى بِالرَّكَائِبِ سَبَسْبُ
مُخَوِّفُ الرَّدَى قَفَرُ كَأَنَّ نَعَامَهُ عَذَارِي عَلَيْهِنَّ الْمَلَأَ الْمُجُوبُ

وبهذا الإسناد ، قال : قرأت عليها لأبيها :

طَافَ الْخِيَالُ عَلَيْنَا مِنْكَ هَنَادَا وَهَنَا فَأَوْرَمْنَا هَمًّا وَتَسْهَادَا
أُنِّي اهتديتِ لِرَكْبٍ بَيْنَ أَوْدِيَةٍ لَمْ تَسْتَدِلِّي وَلَمْ تَسْتَحْقِي زَادَا
يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمٍ

هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ بَل طَارَ أَوْ كَادَا
مَا هَبَّتِ الرِّيحُ لِي مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمُ
إِلَّا تَحْيَرُ مَاءَ الْعَيْنِ أَوْ جَادَا

معنى قوله تحير : أنه وقف في العين ، وهي مُطْفَحَةٌ به لا يجرى . ونظير

ذلك قول البحتري :

دَمَعُ تَحْيَرٍ فِي الْجَفُونِ فَلَمْ يَزَلْ بَرْحُ الْغَرَامِ يَسُوقُهُ حَتَّى جَرَى

وبالإسناد المتقدم قال : قرأت عليها لأبيها :

طَافَ مِنْ هِنْدٍ خِيَالٌ فَذَعَرُ وَرَمَى عَيْنِي بِدَمْعٍ وَسَهَرُ
قُلْتُ لِمَا أَنْ دَنَا مِنِّي لَهُ مَرَحَبًا أَلْفًا بِسَمْعِي وَالْبَصَرُ
هِنْدُ مِنْ أَيْنَ تَخْطِيتِ إِلَى رَكْبٍ أَطْلَاحَ مَطِيًّا قَدْ حَسَرَ^(١)
تَحْتَ لَيْلٍ سَاقِطٍ أَوْ كَنَافُهُ رَحْلُ صَرَعَى مِنْ كَلَالٍ وَسَهَرُ

صَادَتْ الْقَلْبَ وَلَمْ تَعْمِدْ لَهُ بِشْتَيْتِ النَّبْتَ عَذِبِ ذِي أُشْرُ
وهذا الرجل، أعني السيّد الحميري، قوى الطبع، جزل اللفظ، سليم
التصرف والقلب .

وقال البحتري :

أَنْنِي اهْتَدَيْتِ وَمَا اهْتَدَيْتِ لِمُعْمَدٍ فِي لَيْلِ عَانَةِ وَالْثَرِيَّا تَجْنُبُ
ما أملح ما قيل في هذا المعنى ! لأنه أثبت الاهتداء، وما اهتديت: تنبيهها
على أن ذلك التخيل باطل، والتصور محال . فزاد على من تعجبه من
الاهتداء بقوله : « وما اهتديت » . وهذا المعنى يجيء في الشعر كثيرا،
وفي شعري خاصة .

ولى :

وَكَيْفَ اهْتَدَى وَالْقَاعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَمَسَاعَةُ الْقَطْرَيْنِ مَنَاعَةُ الْقَطْرِ
ولى أيضا :

أَنْنِي اهْتَدَيْتِ وَكَيْفَ زُرْتِ وَبَيْنَنَا دُونَ الزِّيَارَةِ مَرْبَحٌ وَزَرُودُ ؟ !
وإنما تعجب الشعراء من اهتداء الطيف، وتخلصه إلى المضائق، وخفي
المسالك، لأنهم فرضوا زيارته زيارة حقيقية، وطروقا صحيحا، فتعجبوا
مما يتعجب من مثله في ذلك، من طي البعد في أقصر زمان . ومن الاهتداء
بغير هاد ولا مرشد، مع تراكم الظلم، وتشابه الطرق، وفقد الظهر . ومن
فرض شيئا أجري أوصافه له على مافرضه، دون ماهو عليه في نفسه .
وأما قوله ، رحمه الله :

وما كان إلا عارضا من طماعة أزال الكرى عن مقتلتي وزالا

فما زالت الشعراء في القديم والحديث تصف الطيف بأنه طمع كاذب ،
وظن باطل ، وظل زائل ، ويتصرفون في ذلك أحسن تصرف ، ويتقبلون
أملح تقلب ، قال الفرزدق :

لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتُ يَاهِنْدُ مِمَّتَا قَتِيلَ كَرَى مِنْ حَيْثُ أُمْسَيْتِ نَائِيَا
فَطَافَتْ بِأُطْلَاحٍ وَطَلَحَى كَأَنَّمَا سَقُوا بِحِمَامِ الْمَوْتِ لِلْمَوْتِ سَاقِيَا
فَبَاتَتْ بِنَا ضَيْفًا دَخِيلًا وَلَا أَرَى سِوَى حُلْمٍ جَاءَتْ بِهِ الرِّيحُ سَارِيَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا الرِّيحُ جَاءَتْ بِنَشْرِهَا إِلَى سَقَّتْنِي ثُمَّ عَادَتْ بِدَائِيَا
ولقيس أيضا :

إِنَّ الَّتِي طَرَقَتْكَ بَيْنَ رَكَائِبِ تَمْشِي بِمِزْهَرِهَا وَأَنْتَ حَرَامُ
بَاتَتْ تَعْلَنَّا وَتَحْسِبُ أَنَّ فِي ذَاكَ أَيْقَاطُ وَنَحْنُ نِيَامُ
حَتَّى إِذَا انْصَدَعَ الصَّبَاحُ لِنَاضِرٍ فَإِذَا وَذَلِكَ بَيْنَنَا أَحْلَامُ
نظير قوله :

... .. وَتَحْسِبُ أَنَّ فِي ذَاكَ أَيْقَاطُ وَنَحْنُ نِيَامُ

قول البحتري :

إِذَا مَا تَبَادَلْنَا النِّفَائِسَ خِلْمُنَا مِنْ الْجَدِّ أَيْقَاطًا وَنَحْنُ نِيَامُ
وقال بعض بني عُقَيْل :

أَمَا مِنْ لِيَالِي الدَّهْرِ إِلَّا يُيْلَمُ بِي خِيَالِكِ إِلَّا لَيْلَةً لَا أَنَامُهَا
والأقرع بن معاذ :

لَقَدْ طَرَقْتَنَا أُمُّ عُمَانَ بَعْدَ مَا هَوَى النَّجْمُ وَالسَّارَى إِلَى حَبِيبُ
فَحَيَّتْ فَحَيَّاها فَهَبَّ فَحَلَقَتْ مَعَ النَّجْمِ ، رُؤْيَا فِي الْمَنَامِ كَذُوبُ
وللحمدوى وهو كثير من مثله ، وروى أنه لعبد الصمد بن المعذل :

لَمْ أَكُنْ أَنْلَهُ فَنِلْتُهُ بِالْأَمَانِي فِي مَنَامِي سِرًّا مِنَ الْهَجْرَانِ
وَاصِلَ الْحِلْمِ بَيْنَنَا بَعْدَ هَجْرٍ فَاجْتَمَعْنَا • وَنَحْنُ مُفْتَرِقَانِ
غَيْرَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ خَافَتْ رَقِيبًا فَطَوَتْ سِرَّهَا عَنِ الْأَبْدَانِ
مَنْظَرُ كَانَ لَذَّةَ الْقَلْبِ إِلَّا أَنَّهُ مَنْظَرُهُ بَغَيْرِ عِيَانِ
وأحسن ذوالرمة في قوله :

إِذَا نَحْنُ عَرَّسْنَا بِأَرْضٍ سَرَى لَنَا هَوَى لَدَسْتَهُ بِالْقُلُوبِ اللَّوَابِسُ
نَأَتْ دَارُ حَيٍّ أَنْ تَزَارَ وَزَوْرُهَا إِذَا مَا دَجَا الْإِظْلَامُ مِنَّا وَسَاوِسُ
ولى في وصف الخيال بأنه باطل ، ومحال زائل :

زِيَارَةُ الطَّيْفِ ضَرْبٌ مِنْ قَطِيعَتِهِ وَوَصْلُ مَنْ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ هِجْرَانُ
وسيجىء هذا البيت فيما أورده من شعري ، إن شاء الله تعالى .

ولى أيضا في هذا المعنى :

أَفَقْتُ فَلَمْ يَحْصُلْ عَلَى مَنْ الذِّى خُدِعْتُ بِهِ إِلَّا ظُنُونٌ أَجِيلُهَا

ولى فى الطيف أيضا :

إِنَّمَا الطَّيْفُ كَلَفَظٍ فَارِغٌ مَا فِيهِ مَعْنَى

ولى فى الطيف أيضا :

فَمَا نَحْنُ إِلَّا فِي إِسَارِ عَدَامَةٍ وَعِنْدَ كَرَانَا أَنَّ ذَاكَ وَجُودٌ

المعنى كثير . وسيجىء فى مواضعه بعون الله تعالى . وإنما أشرنا هاهنا

إلى القليل منه .

وله من أثناء قصيدة (١) :

أَلَمْ خَيَالُ الْعَامِرِيَّةِ بَعْدَ مَا تَبَطَّنَا جَفْنٌ مِنَ اللَّيْلِ أَوْطَفُ

يُحْيِي طِلَاحًا حِينَ تَهْمُوا بِوَقْعَةٍ تَهَاوَوْا عَلَى الْأَذْقَانِ مِمَّا تَعَسَّفُوا

وَقِيدِينَ قَدْ مَالَ النُّعَاسُ بِهِامِهِمْ كَمَا أَرَعَشَتْ أَيْدِي الْمُعَاطِينَ قَرَقَفُ

هذه أبيات واصله إلى القلوب بغير استئذان ، لعذوبة مسمعها ،

والأوطف : المسترخى . وإنما يعنى شيوخ الليل وشموله . والطلاح : المغيون

الكاؤون من شدة السفر .

وله وهو ابتداء قصيدة (٢) :

مَاعِنْدَ عَيْنِكَ فِي الْخِيَالِ الزَّائِرِ أَطْرُوقُ زَوْرٍ أَمْ طِمَاعَةُ خَاطِرِ

بَاتَ الْكَرَى عِنْدِي يُزَوِّرُ زَوْرَةً مِنْ قَاطِعِ نَائِي الدِّيَارِ مُهَاجِرِ

وله من قصيدة (٣) :

أَمِنْكَ الْخِيَالُ الطَّارِقِ بَعْدَ هَجْعَةٍ يُعَاطِي جَوَى الظَّمَانِ مُبْتَسِمًا بَرْدًا

(١) يفتخر بآبائه (ديوانه : ٥٢٤) بيروت .

(٢) فى الفخر (ديوانه : ٣٦٩) بيروت . (٣) من قصيدة فى ديوانه ص ٣٠٧ بيروت

دَنَا مِنْ أَعَالِي الرَّقْمَتَيْنِ وَمَا دَنَا
وَصَدَّ وَقَدْ وَلَّى الظَّلَامُ وَمَا صَدَّ
وَمِنْ عَجَبٍ رِيٍّ وَمَا نَقَعَ الصَّدَى
وَعَدَّى لَهُ مَنَا عَلَى وَمَا اعْتَدَا
أَسَاءَ لِيَالِي الْقُرْبِ نَائِيًا وَهَجْرَةً
وَأَسْدَى عَلَى بُعْدٍ مِنَ الدَّارِ مَا أَسْدَى
وله من قصيدة (١) :

مَا لَذَا الزَّوْرِ مَا يُغِيبُ مِنَ الرَّمْلِ طُرُوقًا فِي مَضْجَعٍ قَدْ أَقْضَا
مُهْدِيًا لِي مِنْ طِيبِ أَرْوَاحِ نَجْدٍ مَا يُدَاوِي نُكْسَ الْعَلِيلِ الْمُضَى
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ خَطَرَةِ الْبَرْقِ، مَارَوْ دَعَيْنَ الْمَشُوقِ إِلَّا وَمَضَا
قَادَهُ الْغُمُضُ مِنْ زُرُودٍ فَلَمَّا زَارَ أَنْبَى عَنْ مُقَلَّتِي الْغُمُضَا
يريد أنه لما تصرم وتقصى، لم أنم شوقا إليه، وتلهفا عليه، فالغمض
جالب له، وهو مشرد لما جلبه وأحضره.

وله من قصيدة (٢) :

وَزَائِرٍ زَارَ عَلَى نَائِيهِ بَعْدَ الْأَسَى عَادَ بَعِيدَ الْغَرَامِ
أَمْنَزِلٍ عِنْدَ عَقِيقِ الْحَمَى وَمَضْجَعٍ عِنْدِي بَأَعْلَى الشَّامِ
زِيَارَةٌ زَوَّرَهَا خَاطِرِي مَا أَقْنَعَ النَّفْسَ بَزُورِ الْمَنَامِ !
خَدَائِعُ أَغْضَى عَلَى عِلْمِهَا لَعَلَّهَا تَنْقَعُ هَذَا الْأَوَامِ

(١) في الفخر (ديوانه : ٤٣٩) .

(٢) في وصف جارية (ديوانه ٢ : ٧٥٦) .

وله من جملة قصيدة (١) :

يَا حَبَّذَا مِنْكَ خَيَالٌ سَرَى فَدَلَهُ الشَّوْقُ عَلَى مَضْجَعِي
بَاتَ يُعَاطِينِي جَنَى ظَلَمِهِ وَبِتُ ظَمَانٍ وَلَمْ أَنْقَعِ
مُعَانِقًا كَانَ عِنَاقِي لَهُ وَرَاءَ أَحْشَائِي وَالْأَضْلَعِ
عَاقَرَنِي يَشْرَبُ مِنْ مُهْجَتِي رِيًّا وَيَسْقِينِي مِنْ أَدْمُعِي

معنى قوله رحمه الله : « فدلته الشوق على مضجعي » يريد شوقي إليه، لاشوقه إلىّ، لأن الحب الكلف بمحبوبه، لفرط وجوده وكلفه، يتخيل له في المنام محبوبه، ويتمثل له حضوره، فلهذا أضاف اهتدائه لمضجعه إلى شوقه. ومعنى قوله رحمه الله : « معانقاً كان عناقى له » يريد: أنى تخيلت بقلبي، وجرى على اعتقادي وأنا نائم، أنى معانق له، فكان عناقى له من حيث تخيله بقلبي، كأنه فى أحشائى، ووراء أضلعي . والعناق المعتاد الحقيقي إنما هو بظاهر الأحشاء والأضلع .

انقضى مالا خى رضى الله عنه .

[ما أخرجه المؤلف من شعره هو في طيف الخيال]

وهذا ما أخرجه من ديوان شعري :

لى من أول قصيدة أولها :

لو لم تعاجله النوى لتحيرا

أَهْلًا بِطَيْفِ خِيَالٍ مَانِعَةٍ لَنَا يَقْطِى وَمُفْضِلَةٍ عَلَيْنَا فِي الْكَرَى

مَا كَانَ أَنْعَمْنَا بِهَا مِنْ زَوْرَةٍ لَوْ بَاعَدَتْ وَقْتَ الْوُرُودِ الْمَصْدَرَا

أردت في الكرى منى لا غير ، لأخرج من ضيق العذر الذى اتفق للبحترى في قوله : « تهجر وسنى » . وليكن عذر قيس بن الخطيم في قوله : « تؤتينه في النوم » هو عذر لقولى : « مفضلة علينا في الكرى » . وقد تقدم كلامى في ذلك .

ولى من قصيدة أولها :

حُيِّتَ يَارَبَعَ اللَّوَى مِنْ مَرَبَعٍ

أَحْبَبَ إِلَيَّ وَقَدْ تَغَشَّى نَاطِرِي

وَسَنُ الْكَرَى بِالطَّيْفِ يَطْرُقُ مَضْجَعِي

ما زال يخذعني بأسباب الكرى حتى خشيت بأنه حقا معي

ولقد عجبت على المسافة بيننا كيف امتدى من غير هادٍ موضعي

أفضى إلى شعث لقوا هاماتهم لما سقوا خمر الكرى بالأذرع

هجعوا قليلا ثم زرع نومهم غب الشرى داعى الصباح المسمع

إنما أضفت خديعة الطيف إلى الكرى ، لأنه لولا النوم وأسبابه ،
ما تخيل الطيف ولا تمثل . وإنما قلت داعى الصباح المسمع ، لأنه ليس كل
داع مُسمِعاً ولا مجاباً . ولما كان الناس يستيقظون ويُنشرون عند الصبح ،
جعلنا داعية مُسمِعا .

ولى من قصيدة أولها :

ألا حبذا زمن الحاجر

وزورٍ تخطى جنوبَ الملا فناديتُ أهلاً بذَا الزائرِ

أتاني هُدُوءاً وعَيْنُ الرقيِّ بِمِطْرُوفَةٍ بِالكَرَى الغامرِ

فَأَعِجِبْ بِهِ يُسَعِفُ الهاجِعِينَ وَتُحَرِّمُهُ مُقَلَّةُ السَّاهِرِ

وعَهْدِي بِتَمَوِّيهِ عَيْنِ الْمُحِبِّ تَمُّ عَلَى قَلْبِهِ الطَّائِرِ

فَلَمَّا التَّقِينَا بَرَّغَمَ الرُّقَا دِ مَوَّةٍ قَلْبِي عَلَى نَاطِرِي

الملا : الأرض الواسعة . ولما كانت طَرْفَةُ العين تَحْجُزُ عن إبصارها ،

وكان الكرى أيضاً كذلك ، جعلت عين الرقيب من حيث منعها النوم

عن الرؤية ، كأنها به مطروفة . والعادة أن عين الحبِّ تَمُوءُ على قلبه ، حتى

يستحسن ما ليس بحسن ، أو ما لم يبلغ الغاية التي تخيلها أو اعتقدها .

وفي النوم انقلبت هذه العادة ، وصار القلب يُخَيِّلُ أن العين ترى ما ليس

تراه على الحقيقة .

فإن قيل : التخيل والاعتقاد إنما هو بالقلب ، في نوم أو يقظة ،

ولاحظاً للعين فيه في الحالين . فالجواب أن الأمر على ذلك ، لكن العين

في اليقظة تكون سبباً لتخيل القلب فرط حسن بعض الأشخاص ، وإن لم

يكن كذلك ، فأضيف التمويه إليها ، لأنها كالسبب فيه . وفي النوم يعتقد
النائم بقلبه ، ويتخيل أنه يرى بعينه ما ليس يراه على الحقيقة ، فصار القلب
سببا لتخيل شيء يضاف إلى العين ، من رؤية ما ليس يراه ، فكان التمويه
هاهنا من القلب على العين ، وليس يحتمل الشعر هذه المحاسبة والمناقشة ،
والإشارة فيه تكفي . وقد قصصنا خبر هذه الأبيات فيما أخرجناه لأخي
رحمه الله .

ولى أيضا :

أَمِنْكَ سَرَى طَيْفٌ وَقَدْ كَادَ لَا يَسْرِى
وَنَحْنُ جَمِيعًا هَاجِعُونَ عَلَى الْغَمْرِ
تَعَجَّبْتُ مِنْهُ كَيْفَ أَمَّ رُكَابَنَا
وَأَرْحَلْنَا بَيْنَ الرَّحَالِ وَمَا يَذْرِى
وَكَيْفَ اهْتَدَى وَالْقَاعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
وَلَمَّاعَةُ الْقَطَرَيْنِ مَنَاعَةُ الْقَطْرِ
وَأَفْضَى إِلَى شُعْثِ الْحَقَائِبِ عَرَّسُوا
عَلَى مَنْزِلٍ وَعَرٍ وَدَاوِيَّةٍ قَفَرٌ
وَقَوْمٌ لَقُوا أَعْضَادَ كُلِّ طَلِيحَةٍ
بِهَامٍ مَلَاهُنَّ النَّعَاسُ مِنَ الشُّكْرِ
سَرَوْا وَسَمَّاكَ الرُّمَحَ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ

فَمَا هَوَّمُوا إِلَّا عَلَى وَقْعَةِ النَّسْرِ
وَبَاتَ ضَجِيعًا لِي وَنَحْنُ مِنَ الْكَرَى
كَأَنَّا تَرَوِينَا الْعَتِيقُ مِنَ الْخَمْرِ
أَضْمُ عَلَيْهِ سَاعِدِي مِنَ الْحَشَا
وَأَفْرِشُهُ مَا بَيْنَ سَحْرِي إِلَى نَحْرِي
تَمَنِّيْتُهُ وَاللَّيْلُ سَارٍ بِشَخْصِهِ
إِلَى مَضْجَعِي حَتَّى التَّقِينَا عَلَى قَدَرٍ

معنى « وقد كاد لا يسرى » : أننى ما كنت طامعا فيه ، ولا راجيا له ، ولا محدثا نفسى به . وإنما قلت مناعة القطر ، وهى على الحقيقة ممنوعة ، لا مناعة ، لأقابل بين لماعة ومناعة . والمعنى مع ذلك صحيح ، لأنها تمنع القطر السائر فيها ، وتعدمه منها . فجاز أن يقال مناعة ، وإن كانت هى أيضا ممنوعة . ومعنى البيت الذى أوله :

وقوم لقوا أعضاد كل طليحة

أنهم توسدوا أذرع المطى كلالا واستعجلا ، وتصعلكا وتحشنا ، وإنما قلت سماك الريح ، ولم أقل السماك الراح ، لضيق الشعر ، وما عد لنا مع ذلك إلا إلى لفظ مقبول غير مستثقل ، وبين كون السماك الراح مسامتا لقمة الرأس ، وبين وقعة النسر ، وهى تدليه للغروب ، زمان طويل مديد . ومعنى البيت الأخير أننى تمنيته ، وكانت رؤيتى لطيفه عقيب ذلك ، فكان الليل كان ساريا به فى وقت المنى للقارى ، حتى كأن اللقاء عقيب المنى .

ولى أيضا :

ألا يا بنة الحيين مالى ومالك	وماذا الذى ينتابنى من خيالك
هجرت وأنت لهم إذ نحن جيرة	وزرت وشحط دارنا من ديارك
فما نلتقى إلا على نشوة الكرى	بكل خدارى من الليل حالك
يفرق فيما بيننا وضح الضحى	وتجمعا زهر النجوم الشوابك

وما كَانَ هذا البَدَلُ مِنْكَ سَجِيَّةً
فَكَيْفَ التَّقِينَا وَالْمَسَافَةَ بَيْنَنَا
وقَدْ كُنْتَ لَمَّا أَوْسَعُونَا وَشَايَةً
فَلَمْ يَبْقَ فِي أَيْمَانِنَا بَعْدَ مَا وَهَتْ
وَلَيْسَ بَيْنَنَا دُونَ رَمْلَةٍ مُرْبِخٍ (١)
وما كَانَ مَنْ يَسْتَوْطِنُ الرَّمْلَ طَامِعًا
ولما امْتَطَيْتِ اللَّيْلَ كُنْتَ حَقِيقَةً
الْخُدَارِيَّ : المَظْلَم . وسَحَابُ خُدَارِيَّ وَعُقَابُ خُدَارِيَّةَ : فِي لَوْنِهَا سَوَاد .
وهذه أَيْبَاتُ غَرِيبَةِ الطَّرْحِ ، بِدَوِيَةِ النَّسْجِ كَمَا تَرَاه .

وَلِي مِنْ قَصِيدَةِ أُولَها :

إِنْ الْعَقِيقُ يَزِيدُنِي خَبَلًا

يَاطِيفُ زُرْنَا إِنْ نَشِطْتَ لَنَا
فَالرَّ كَبُّ بِالْأَبْوَاءِ قَدْ نَزَلَا
عُدَّ النَّهَارَ مَطِيَّةً لَغَبْتُ
وَحَذِ الظَّلَامَ عَلَى السَّرَى جَمَلًا
وَدَعَ التَّطَلُّبَ فَالْحَبِيبُ إِذَا
مَلَّ الْوِصَالَ تَطَلَّبَ الْعِلَلَا
عَجَّلْ سُرَاكَ إِلَى مُضَاجِعِنَا
وَإِذَا حَضَرْتَ فَلَا تَعِبْ عَجَلَا
مِنْ أَيْنَ تَعْلَمُ مِنْ نَحَاذِرُهُ
قَطَعَ الْخَيَالَ الْحَبْلَ أَمْ وَصَلَا
الْغُوبُ : هُوَ الْكَوَالُ وَالتَّعَبُ . وَأَرَدْتُ أَنْ زِيَارَةَ النَّهَارَ كَالْمَطِيَّةِ

الْلاغِبَةِ ، الَّتِي لَا يُمْكِنُ السَّيْرُ عَلَيْهَا ، فَيَجِبُ الْعُدُولُ عَنْهَا إِلَى سَرَى اللَّيْلِ الَّذِي

(١) سَقَطَتْ كَلِمَةُ سَحَابٍ مِنَ الْأَصْلِ . وَسَحَابُ خُدَارِيَّ : أَسْوَد . وَمَرْبِخُ : جَبَلٌ مِنْ

جِبَالِ زُرُود ، أَوْ رَمْلَةٍ بِالْبَادِيَةِ (اللسان) . (٢) يُقَالُ رَمْلَةٌ عَائِلُكَ : أَيْ فِيهَا تَعَقُّدٌ .

يستر ولا يظهر . والبيت الرابع مليح المعنى . ومن جيد ما مدحت به زيارة الطيف ، أنها غير معلومة لمتتبع ، ولا محسوبة لمترصّد .

ولى أيضا :

يَاطِيفُ أَلَّا زُرْتَنَا بِسَوَادٍ لَمَّا تَضَرَّعْنَا حِيَالَ الْوَادِي
مَا كَانَ ضَرَّكَ وَالْوَشَاةُ بِمَعْزِلٍ عَنَّا جَمِيعًا لَوْ طَرَقْتَ وَسَادِي
وَالرِّىُّ فِيكَ وَقَدْ صَدَدْتَ فَقُلْ لَنَا مِنَّا غَلِيلَكَ كَيْفَ يَنْقَعُ صَادٍ
وَمِنْ أَجْلِ أَنْكَ تَسْعَفِينَ عَلَى الْكَرَى

أَهْوَى الرُّقَادَ وَلَاتَ حِينَ رُقَادٍ
وَالْحُبُّ دَاءٌ فِي الْقُلُوبِ سَقَامُهُ خَافٍ عَنِ الرُّقْبَاءِ وَالْعُودَادِ
يَا زُورَةً مِنْ بَاخِلٍ بِرِقَادِهِ عَجَلَتْ عَطِيَّتُهُ عَنِ الْمِيعَادِ
تَرَكَ الْبَيَاضَ لِأَمِنْ وَأَتَى بِهِ فَرَقَ الْوَشَايَةَ فِي ثِيَابِ حِدَادٍ

أردت بقولى : « والوشاة بمعزل عنا » : أى أنهم لا يشعرون لنا بخبر ، ولا يقفون منا على أثر . وقولى : « عجلت عطيته عن الميعاد » أى أنها سبقت الميعاد ، ونجأت بغير وعد . وأردت بالبياض : النهار ، فإن زيارة النهار لا تكون إلا مع الأمن والانبساط . وأردت بالحداد : سواد الليل . لأن الخائف يستتر بظامة الليل ، ويستجنى بسواده .

ولى أيضا من قصيدة أولها :

أَمِنْكَ الشُّوقُ أَرَقَّنِي فَهَاجَا

وَطَيْفُكَ كَيْفَ زَارَ بِذَاتِ عِرْقٍ مَضَاجِعَ فِتْيَةٍ وَلَجُوا الْفِجَاجَا
فَطَرَقْنَا وَنَحْنُ نَخَالُ أَلَّا يَعُوجَ بِنَا مِنْ الْبُلُوَى فِجَاجَا
فَأَوْهَمْنَا اللَّقَاءَ وَلَا لِقَاءَ وَنَاجَى لَوْ بِصِدْقٍ مِنْهُ نَاجَى
أَلَمْ بِنَا وَمَا رَكِبَ الْمَطَايَا وَلَا أَسْرَى وَلَا ادْلَجَ ادْلَاجَا
ولى من قصيدة أولها :

يَا صَاحِ لَيْسَ لَيْسَ مِنْكَ كِتْمَانُ

مَاذَا عَلَى زَائِرِي لَيْلًا عَلَى سِنَّةٍ لَوْ زَارَ صُبْحًا وَطَرَفُ الْعَيْنِ يَقْظَانُ
زِيَارَةُ الطَّيْفِ ضَرْبٌ مِنْ قَطِيعَتِهِ وَوَصْلٌ مَنْ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ هِجْرَانُ
وَلَيْسَ يَنْفَعُنِي وَالْبُعْدُ أَعْلَمُهُ قُرْبُ أَتَانِي بِهِ ظَنٌّ وَحِسْبَانُ
هذا من هجو الطيف الغريب الواقع ، لأن الزيارة إذا كانت باطلة
لا أصل لها فهي على الحقيقة قطيعة . ووصل من لا تراه العين هجران بغير
شبهة ، لأن هذا البيت كالغريب ، فإنني لم أجده على هذا الترتيب
نظيرا . وأردت أن الظن والحسبان اللذين خيلا في النوم القرب ؛ لا ينفعان
مع البعد المتحقق المتيقن .

ولى من قصيدة أولها :

أَمَّا لَكَ مِنْ غَرَامٍ مَا أَمَالَا

هَجَرْتِ وَنَحْنُ أَيْقَاطُ بَوَجٍّ وَزُرْتِ وَنَحْنُ كَاطِمَةٌ^(١) خَيْلَا

(١) أى بكاطمة ، سقط الجار ، فنصب الاسم .

وَلَيْسَ الْمَهْجَرُ عَنْ سَبَبٍ وَلَكِنْ
وَطِيفٌ مِنْكُمْ بِمَجْنُوبٍ تَجِدُ
أَقَامَ عَلَى مَضَاجِعِنَا هُدُوءًا
لَهَوْتُ بِبَاطِلِ الْأَحْلَامِ حَتَّى
الَيْتَنَّا بِكَاطِمَةٍ أَظْلَى
فَلَيْسَ الصُّبْحُ مِنْ أَرَبَى وَحَسْبَى
خَلَوْتُ وَمَا خَلَوْنَا مِنْكَ بَلَا
أَرَانِي مِنْ زِيَارَتِكُمْ مِثْلًا
فَلَمَّا زَالَ عَنَّا النَّوْمُ زَالًا
وَدِدْتُ لَهْنًا أَنَّ اللَّيْلَ طَالَا
بِيَاضِكَ أَنْ يُبَيِّنَ بِنَا ضَلَالًا
ظِلَالُ اللَّيْلِ أَسْكَنُهُ ظِلَالًا

أوقع ما وصفت به زيارة الطيف : أنها مثال الزيارة الحقيقية ، كما أن
الطيف مثال لصاحبه ولا حقيقة له .

ولى من قصيدة أولها :

أَمِنْ أَجْلِ مَنْ سَارَتْ بِهِنَّ الْأَبَاعِرُ

وَيُعْجِبُنِي وَالْمَنَاجِيَاتُ مُشِيحَةٌ
يَزُورُ وَأَعْنَاقُ الْمَطِيِّ خَوَاضِعُ
خِيَالٌ مِنَ الزُّورَاءِ فِي اللَّيْلِ زَائِرُ
كَلَالًا وَأَحْشَاءُ الْمَطِيِّ ضَوَاِمُرُ

ولى من قصيدة أولها :

أَلَا أَيُّهَا الْحَادِي قِفِ الْعَيْسَ عَلَى الْوَادِي

وَأَيْنَ الْطَفُّ مِنْ ظُمِيَا

جَفَا صُبْحًا وَوَفَانِي

وَأَعْنَاقُ الْمَطَايَا مِنْ

تَلَاقَيْنَا بِأَرْوَاحِ

وَفَارَقْنَا بِأَجْسَادِ

الأرواح لا يصح عليها في الحقيقة التلاق والتزاور ، ولكن الشعراء لما رأوا أن الأجساد في طيف الخيال لم تتلاق ، ولا تدانت ، نسبوا التلاق إلى الأرواح ، تعويلا على قول من جعل النفس لها قيام بنفسها ، وأنها غير الجسد ، وأن التصرف لها ، فجرينا على هذه الطريقة ، وإن كان ذلك باطلا في التحقيق .

ولى من قصيدة أولها :

يَوْمَ الْحَمَى مَا أَنتَ مِنْ هَمَى
لَوْ كَانَ لِلْوَاشِينَ مَقْدَرَةٌ مَا سَوَّغُوكَ زِيَارَةَ الْحُلْمِ
زُرْتُ الْأَلَى بَاتُوا بِكَاطِمَةٍ مُتَلَثِّمِينَ جَوَى عَلَى الرَّضَمِ
طَرَحُوا الْخَدُودَ عَلَى سَوَاعِدِهِمْ وَاللَّيْلُ فِي أَثْوَابِهِ السُّحْمِ
وَلَقَدْ طَرَقْتُ وَمَا طَرَوْكَ فِي عِلْمٍ لِقَائِهِمْ وَلَا رَجْمِ
إنما أردتُ تفخيم شأن هذه الزيارة ، وحلاوة طعمها ؛ لأن الذات الواردة من غير احتساب ولا انتظار ، أنفع وأوقع .

ولى من قصيدة أولها :

تلك الديارُ برامتين هُمودُ
وَلَقَدْ طَرَقْتُ وَمَا طَرَقْتُ صَبَابَةً بَيْنِي وَنَحْنُ إِلَى الرَّحَالِ هُجُودُ
فِي ظِلِّ خُوصٍ كَالْقَيْسِيِّ طَلَامِحٍ أَخَذَتْ عَوَارِيَهُنَّ مِنْهَا الْبِيدُ

أَتَى اهْتَدَيْتِ وَكَيْفَ زُرْتِ وَبَيْنَنَا دُونَ الزَّيَارَةِ مُرْبِخٌ وَزُرُودُ
وَمُفَاوِزٌ مِنْ دُونِهِنَّ مَفَاوِزُ وَتَهَائُمٌ مِنْ فَوْقِهِنَّ نَجُودُ

معنى « عواريهن » منها البيد : أن هذه المطايا رعت منابت الأرض
وشجرها فأسمنها، ولما أجهدها السير، وخذد لحوما وأهزلها، صار ما كان
أسمنها أهزلها، فكأنه مسترد لعاريته .

هذا معنى مطروق معروف في الشعر القديم والحديث . ومُرْبِخٌ وزرود:
رملان في طريق مكة ، معروفان شاقان .

ولى من قصيدة أولها :

أشاعرة بما يلقى ظلومُ

وَلَيْلَةَ زَارَنَا مِنْكُمْ خَيَالٌ وَوَجْهُ اللَّيْلِ مِنْ وَضَحِ بَهِيمٍ
أَلَمْ يَبْاطِلِ وَيَوُدُّ قَلْبِي وَدَادَا أَنَّهُ أَبَدًا مُقِيمٌ
وَأَحْسَبُهُ الضَّجِيعَ عَلَى وَسَادِي وَمَا رَامَ اللِّقَاءَ وَلَا يَرُومُ
وَكَيْفَ يَزُورُ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ وَلَا عَنُقُ هُنَاكَ وَلَا رَسِيمُ

إنما قلت : مارام اللقاء ولا يروم، فنَفَيْتِ الماضى والمستقبل، لأن الطيف
إنما هو تخيل لا حقيقة له . فليس هو مما يجوز أن يروم ، لا ماضيا
ولا مستقبلا .

ولى من قصيدة أولها :

أَعْلَى الْعَهْدِ مَنْزِلُ بِالْجَنَابِ

حَيَّ بِالرَّقَمَتَيْنِ زَوْراً تَوْخَا كَ دُجَى بَعْدَ هَدَاةِ الْأَصْحَابِ
زَارَنِي وَالرُّقَادُ مِنِّي وَمِنْهُمْ دَاخِلٌ فِي الْعُيُونِ مِنْ كُلِّ بَابِ
زُورَةٌ زُورَتْ عَلَى وَلَوْ كَا نَتَّ يَقِينًا لَمَا شَفَتْ بَعْضَ مَا بِي

قولي : « داخل في العيون من كل باب » : كناية عجيبة عن تمكن النوم من القوم ، واستقراره في عيونهم ، وتحكمه فيهم ، وإنما أردت الاستغراق التام في النوم .

ولي من قصيدة أولها :

أَدْرِ أَيُّهَا السَّاقِي الْكُثُوسَ عَلَى صَحْبِي

فَيَاطِفَهَا أَلَّا طَرَقَتْ رِحَالَنَا وَنَحْنُ عَلَى الْأَذْقَانِ فِي جَانِبِ الشَّعْبِ
نَشَاوَى كَأَنَّا سَاوَرْتَنَا زُجَاجَةً مُضَرَّجَةً النَّاجُودِ دَامِيَةِ السَّكَبِ
بِنَا مِنْ هَوَى لُقْيَاكَ كَرْبٌ نُحِبُّهُ

فَلَوْ زُرْتَنَا نَفَسْتِ مِنْ ذَلِكَ الْكَرْبِ
وَمَا ضَرَّ مَنْ يَأْبَى زِيَارَةَ مُقْلَتِي مُجَاهَرَةً لَوْ زَارَ مُسْتَخْفِيًا قَلْبِي
وَمَنْ ضَنَّ فِي لُقْيَاكَ بِالصَّدَقِ مُسْرِفًا

عَلَى مُرْتَبِجِهِ كَيْفَ يَبْخَلُ بِالْكَذِبِ

معنى البيت الرابع : قد تقدم شرحه عند بيان معنى قولي :

مَوْهَ قَلْبِي عَلَى نَاطِرِي

لأن زيارة المهاجرة هي التي ترى العين فيها الشخص على الحقيقة ،
وزيارة القلب : التي تتمثل فيها للقلب من زيارة الطيف ما لاحقيقة له .

ولى من قصيدة أولها :

لَيْتَ أَنَا لَمَّا فَقَدْنَا الْمَجُوعَا

قُلْ لِطَيْفِ الْخَيَالِ لَيْلَةٌ هَوَمْنَا بِنَجْدٍ أَلَّا طَرَقَتْ هَزِيْعَا
وَالْمَطَايَا مِنَ الْكَلَالِ عَلَى رَمَلٍ زَرُودٍ قَدْ افْتَرَشْنَ الضُّلُوعَا
مَا عَلَى مَنْ يَحِلُّ بِالْغَوْرِ لَوْ بَا تَ لَنَا طَيْفُهُ بِنَجْدٍ ضَجِيْعَا
خَادِعُونَا بِالزَّوْرِ مِنْكُمْ عَنِ الْحَقِّ فَمَا زَالَ ذُو الْهَوَى مَخْدُوعَا
وَكَلُونَا إِلَى التَّزْوِجِ عَنِ الْحُبِّ وَهَيْهَاتَ أَنْ يُرِيدَ النَّزْوَعَا
وَاطْلُبُوا إِنْ وَجَدْتُمْ كَاتِمًا لِلْسَّرِّ فَيْكُمْ فَقَدْ وَجَدْنَا الْمُدِيْعَا
ولى من قصيدة أولها :

يَا حَادِيَ الْعَيْسِ عَرَّجْ بِي عَلَى الدَّمَنِ

وَقَدْ جَفَانِي حَتَّى إِنَّ طَارِقَهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ عَهْدًا لَيْسَ يَطْرُقُنِي
وَمَنْ يَضِنُّ بِزَوْرِ مِنْهُ كَيْفَ يَدِي ^(١)

وَالنَّقْلُ لِلْحَقِّ يَوْمًا فِيهِ يَنْقُصُنِي

(١) كذا في الاصل ، وفي السلام غموض .

من ضنّ بالباطل مع سهولته وخفته ، كيف لا يضمن بالحق مع ثقله وكلفته .

ولى أيضا ، وهى ابتداء قصيدة :

زَارَكَ زَوَّارُ الْحُلْمِ	مَسَلَّمَ بِذِي سَلَمٍ
فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَ أَوْهَا	حَالِكَةً مِنَ الظُّلَمِ
كَأَنَّهَا إِئِمَّةٌ	أَوْ فَحْمَةٌ مِنَ الْفَحَمِ
جَاءَ وَسَادَى عَائِدًا	فَلَمْ أَبْنِ مِنَ السَّقَمِ
وَالرَّكْبُ فِي ظِلِّ نَقَى	لَوْ غَزَّ غَوَاهُ لَأَنهَدَمَ ^(١)
كَأَنَّمَا مَرَّ الصَّبَا	رَقَشَ فِيهِ بِالْقَلَمِ

ولى من قصيدة أولها :

لَعَيْنِيكَ مِنْهَا يَوْمَ زَالَتْ حُمُولُهَا

وَلَيْلَةَ بَدْنَا بِالْأَثِيرِ جَاءَنِي	عَلَى نَشْوَةِ الْأَخْلَامِ وَهَنَارَسُوهَا
خَيَالٌ يُرِينِي أَنَّهَا فَوْقَ مَضْجَعِي	وَقَدْ شَطَّ عَنِّي بِالْغَوِيرِ مَقِيلُهَا
فَيَا لَيْلَةَ مَا كَانَ أَنْعَمَ بِشَهَا	تَبَارَحَ غَاوِيهَا وَغَابَ عَذُوهَا
وَمَاضَرَنِي مِنْهَا وَقَدْ بَتُّ رَاضِيًا	بِبَاطِلِهَا أَنْ بَانَ صُبْحًا بَطُولُهَا
فَلَمَّا تَجَلَّى اللَّيْلُ بِالصُّبْحِ وَانْحَتَ	دِيَا جِرُّ مَرْخَاةٍ عَلَيْنَا سُدُولُهَا

أَقَّتْ فَلَمْ يَحْصُلْ عَلَى مَنْ الذِّي خُدِعْتُ بِهِ إِلَّا ظَنُّونَ أَجِيلَهَا
ولهذه الأبيات ، ما نراه ولا نقدر على جرده ، من الفصاحة والطلاوة ،
والبدويّة التي يوجد طعمها في فصيح كلام القوم ، وإنما أردت الطيف
رسولها ، لأنه مذكّر بها ، ومشوّق إليها ، ولأنه مثال لها ومتّرجم ، فجرى
مجرى الرسول .

وأما البيت الرابع : فمعناه أنه لا يَشْلُمُ متعتي بالطيف ليلا ولا ينقص لدى
به بيان بطلانه في الصبح ، لأن الحالتين متغايرتان . وقد قال الناس
في الطيف إنه ممتع نافع ، وإن كان زورا وباطلا ، لكنهم ما بلغوا هذا
التحقيق ، ولا كشفوا عن العلة هذا الكشف . فالزيادة فيه على ما تقدمه
غير مجهولة . ومعنى قولي : « فلم يحصل على إلا ظنون أجيلها »^(١)

أن الطيف إذا كان على ما بيناه ، إنما هو تخييل وتمثيل ، واعتقادات
وظنون باطلة ، فمع اليقظة لا يحصل في اليد شيء منه ، إلا ذلك الظن الباطل ،
والتخييل الفاسد . وكان عندي أنني سابق إلى وصف الطيف بأنه رسول ،
ومنفرد بهذا المعنى ، لأنني ما كنت وقفت فيما تصفحته ورويته على نظير
له ، إلى أن رأيت وأنا أُملي هذا الكتاب ، لأشجع السامعي ، فيما رواه أبو عبد الله
المرزباني عن شيوخه قوله :

حَيَّ طَيْفًا أَتَاكَ بَعْدَ الْمَنَامِ فَتَخَطَّى إِلَيْكَ هَوَلَ الظَّلَامِ

(١) إشارة إلى البيت الأخير من المقطوعة ، انظره في أعلى هذه الصفحة .

شَحَطَ الْحَيُّ مِنْ سَعَادَ وَمِنَّا رُسُلُ بَيْنِنَا مِنَ الْأَخْلَامِ
بَخِلَتْ بِالسَّلَامِ يَقْظَى وَجَادَتْ بِهِوَآهَا وَنَفْسَهَا فِي الْمَنَامِ

ووجدت أيضا ، فيما استأنفت تصفحه وتأمله للبحتری :

إِذَا أَرْسَلْتَ طَيْفًا يُذَكِّرُنِي الْجَوَى رَدَدْتُ إِلَيْهَا بِالنَّجَاحِ رَسُومَهَا

ومما يمكن أن يكون نظيرا لذلك قول البحتري :

وَلَيْلَةَ هَوَمْنَا عَلَى الْعِيسِ أَرْسَلْتَ بَطِيفَ خِيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ

وهذا على ما تراه نظير لقولي :

« جاءني رسولها وما شعرت به ^(١) »

وكما قلت في كثير من كتبي وأمالي : إنه لا ينبغي لمصنف أن يقول هذا البيت مسروق المعنى من فلان ، لأنه قاطع على مالا يأمّن هذا أن يكون كذبا ، فر بما تواردا فيه من غير قصد . والأولى أن يقال : هذا نظيره وشبيهه . وهكذا يجب أيضا ألا يطلق أحد في معنى من المعاني ، أنه متفرد به ، وسابق إليه ، وإن كان لم يُسمع له نظير ، ولا عثر له على شبه ، لأنه لا يأمّن أن يكون فيما لم يبلغه ، ولا اتصل به ، قد ورد ذلك المعنى ، فإن الخواطر لا تُضبط ولا تحصر . ومن ذا الذي يحيط علما بكل ما قيل وسطر وذكر ؟ والإنصاف أن يقال في مثل هذا المعنى : ينفرد به فلان على ما بلغني ، واتصل وانتهى إليه تصفحي وتأملي .

ومن نظم معنى نتجّه خاطره ، وسمح له به هاجسه ، لم يكن يحتذي فيه

(١) إشارة إلى المعنى الوارد في البيت الأول من المقطوعة الأخيرة .

مثال غيره ، فهو في الحقيقة كالسابق إليه وإن كان قد وجده نظيره
 ما عرفه ولا بلغه ، يسلب الفضيلة من اعتمد على معنى سبق إليه غيره ، فنظمه
 وأدخله في كلامه ، لأنه لم يحظ بفضيلة السبق التي يقتضيها نتيجة الفكر ،
 وثمره الخاطر . ومن أخرج إليه خاطره بعض المعاني من غير أن يكون سمعه
 ولا قرأه ولا احتذاه ، فله فضل الاستخراج والاستنباط الدالين على قوة
 الطبع ، وصحة الفكر ، وما عليه بعد ذلك أن يكون قد تقدمه متقدم فيه ،
 فوقع التوارد فيه من غير عمد ، فإن تجويز ذلك لا يسلب مدحا ،
 ولا ينقص فضلا .

ولى أيضا وهو ابتداء قصيدة :

عَجِبْنَا مِنْ خَيْالِكَ كَيْفَ زَارَا عَلَى عَجَلٍ وَمَا مِنْ الْحِذَارَا
 أَنَّى وَالشَّوْقُ جَازِبُهُ إِلَيْنَا وَمَنْ تَبِعَ الْهَوَى رَكِبَ الْخِطَارَا
 تَلَاقٍ ضَاعَ مَا أَغْنَى فَتِيلاً سِوَى أَنْ هَاجَ لِلْقَابِ إِدْكَارَا

ولى من قطعة مفردة :

وَزَائِرٍ زَارَنِي وَهَنًا يُغَالِطُنِي وَلَوْ لَدَسْتُ بِيَاضِ الصُّبْحِ لَمْ يَزُرْ
 تَمَّتْ لَهُ وَسُتُورُ اللَّيْلِ مُسَبَّلَةٌ

بَيْنِي وَبَيْنَ يَقِينِي وَالْكَرَى سُكْرِي لَوْ أَرَادَ خِدَاعِي غَيْرَ ذِي وَسْنِ
 لَكَانَ مِنْ نَيْلِ مَا يَبْغِي عَلَى غَرَرِ

البیت الثانی : عجیب المعنی ، لأنّ تخيل الطیف إنما يتم بالنوم ، حَجَزَ
 بین الیقین و بین النائم ، فاعتقد مالا حقيقة له .
 ولی أيضا من قطعة :

أَتَرَى عَنْ حُسْنِ رَأْيِ زَارِنَا طَيْفُكَ وَهَنَا
 لَمْ يُفِدْنَا وَطَرِيفِ خَا دِعٍّ يُوجِبُ مَنَّا
 إِنَّمَا الطَّيْفُ كَلْفُظٍ فَارِغٍ مَا فِيهِ مَعْنَى
 كَمْ رَأَيْنَا بَاطِلًا نَفْسَ كَرَبًا مِنْ مَعْنَى

ما وجدتُ إلى الآن تشبيه الطيف الذى لا مفتش له ولا محصول ، باللفظ
 الخالى من معنى ، العاقل من غرض ، وإن كان قد قيل قديما وحديثا : إن
 الطيف باطل وزور ومُحال ، ولا عائدة له ، فما شبهوه هكذا باللفظ الفارغ ،
 فهذا التشبيه هو الغريب .

ولى وهو ابتداء قصيدة :

ما زُرْتَ إِلَّا خِدَاعًا أَيُّهَا السَّارِي
 ثُمَّ انْقَضَيْتَ وَمَا قَضَيْتَ أُوْطَارِي
 أَنِّي زُرُّ عَلَى الظَّلْمَاءِ مِنْ شَحْطِ
 مَنْ كَانَ صُبْحًا وَقُرْبًا غَيْرَ زَوَّارِ
 لَا مُتْعَةً لِي بِمَنْ نَادَمْتُ صُورَتَهُ
 لَمَّا أَتَيْتَنِي بِهَا فِي اللَّيْلِ أَفْكَارِي
 وَلَوْ أَرَدْتَ بِيَ الْإِسْعَافَ زُرْتَ وَمَا

دَرَى الدُّجَى لِلْكَرَى مَا بَيْنَ أَشْفَارِي ^(١)

(١) الأشفار : جمع شفر بالضم : وهو حروف الأجفان التى ينبت عليها الهدب .

وَلَيْسَ يَنْفَعُ مَنْ يُضْحِي بِمُجْدِبَةٍ أَنْ بَاتَ مَايْنِ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ

هذا من الابتداءات المشار إليها فصاحة و بلاغة . وقولى : ما زرت
إلا خداعاً يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون المعنى ما زرت حقيقة ، لكنك خادعت خداعاً .
ويحتمل أيضاً أن أريد : ما زرت إلا للخداع ، كما تقول ما قصدتك إلا
إكراماً لك ، أى للإكرام . وكيف لا يعجب من تارك الزيارة فى الصباح
مع قرب ، إذا زار فى الظلماء من بعد . ولهذا الكلام ماله فى الاطراد
والاستقامة ، وحسن المقابلة .

وإضافة الطيف إلى الفكر . قد تقدم الكلام على نظيرها مستوفى .
وإذا كان من يُضْحِي بالأرض المجدبة المقفرة ، لا ينفعه أن كان بائناً
بين الرياض الناضرة ، والجنان الزاهرة ، فأولى أن لا ينفع من خيل له
الطيف الانتفاع والاستمتاع ، ثم أصبح عارياً من ذلك كله ، فارغاً من جميعه .

ولى من قصيدة أولها :

أَلَا لَيْتَ عَيْشًا مَاضِيًا عَنْكَ بِالْحَمَى وَإِنْ لَمْ يَعْذُ مَاضٍ عَلَيْكَ يَمُودُ
وَيَا زَوْرَنَا لَمَّا سَمَحْتَ بِزَوْرَةٍ سَمَحْتَ بِهَا وَهْنَا وَنَحْنُ هُجُودُ
عَلَى غَفْلَةٍ جَاءَ الْكَرَى بَاعِثًا لَنَا بَلَا مَوْعِدٍ وَالزَّائِرُونَ هُمُودُ
فَيَا مَرْحَبًا بِالطَّارِقِ بَعْدَ هَجْعَةٍ تَقَرُّ بِهِ الْأَحْلَامُ وَهُوَ بَعِيدُ

وَعَلَّمَنِي كَيْفَ الْمُحَالِ لِقَاؤُهُ وَأَتَى التَّقَاءَ وَاللِّقَاءَ كَثُودُ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا فِي إِسَارٍ عَدَامَةٍ وَعِنْدَ كَرَانَا أَنَّ ذَاكَ وَجُودُ

قولى : تقر به الأحلام وهو بعيد : له شهادة من نفسه على فضله ، غير
مردودة ولا مجحودة . وإنما أضفت إلى الكرى أن العدم الذى نحن فيه
وجود ، لأنه السبب فى هذا الاعتقاد الفاسد ، والظن الباطل .

ولى وهى قطعة مفردة :

أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الْهُدُوءِ وَرُبَّمَا	أَلَمْ بِنَا مَنْ لَيْسَ تَرْجُو لِمَامَهُ
فِيَالِكَ مِنْ يَوْمٍ شَحِطَتْ بَيَاضُهُ	فَلَمْ يَعْدُنِي حَتَّى رَضِيتُ ظِلَامَهُ
وَمِنْ مُغْرَمٍ يَقِلُّ لَذِيذَ انْتِبَاهِهِ	وَبِهَوَايَ لِمَا جَرَّ الْمَنَامُ مَنَامَهُ
وَمِنْ مُسْعِفٍ جُنَحًا بِطَيْبِ عُنَاقِهِ	وَكَمْ حَرَمَ الْعُشَّاقَ صُبْحًا كَلَامَهُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَقًّا فَقَدْ بَاتَ مُغْرَمٌ	يُدَاوِي بِتِلْكَ الْبَاطِلَاتِ سَقَامَهُ
مُحِبٌّ بِهِ مِنْ بَاذِلٍ لِي حِلَالَهُ	وَفَادٍ بِذَاكَ الْبَدْلِ مِنِّي حَرَامَهُ
وَمِنْ مُلْتَقَى عَذْبٍ لِلذَّاقِ وَتَحْتَهُ	فَلَمْ يَرْضَ لِي حَتَّى رَجَحْتُ أَثَامَهُ
وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ قُرْبٍ زَوَالِهِ	عَلَى أَنَّ مُشْتَقًّا أَرَادَ دَوَامَهُ

لهذه الأبيات فوق ما شاء المقترح المُشِطُّ من حسن تصرف ، وتقلب

فى أوصاف الطيف ، وخروج من معنى إلى غيره ، بكلام جزل سهل .

وقد تضمن البيت الذى أوله :

مُحِبٌّ بِهِ مِنْ بَاذِلٍ لِي حِلَالَهُ

والبيت الذى يليه ، معنى فى الطيف غريبا ، ماظفرت بنظير له إلى الآن فى الشعر المدون ، لأن بلوغ الغاية فى المتعة بطيف الخيال ، لا يكون إلا مباحاً ، لا إثم فيه ولا عار ، وقد يكون حراماً وإثماً وعاراً ، لو كان فى اليقظة ، وعلى الحقيقة . وقد تكرر هذا المعنى فى شعرى .

فإن اشتبهه سبقُ البحترى إلى هذا المعنى فى قوله :

فَمَا نَلْتَقَى إِلَّا عَلَى حُلْمٍ هَاجِدٍ يُحِلُّ لَنَا جَدْوَالَكِ وَهِيَ حَرَامُ

فالجواب : أن البحترى إنما عنى أن النوم يبذل لنا جدواك ، بعد أن كانت ممنوعة ، فعبر عن البذل بالتحليل ، وعن المنع بالتحريم ، وذلك مליح منه ، ولم يرد التحليل والتحريم الحقيقين ، وإنما أراد أننا نلتقى إلا فى النوم الذى بذل من الالتقاء ما كان ممنوعاً ، فكأنه أحل حراماً .

فإن قيل يجوز أن يكون عنى ما ذكرته ، وعنى أيضاً أن التمتع فى النوم يكون حلالاً ، وإن كان فى اليقظة حراماً ، قلنا : الجدوى هى العطية ، والعطاء لا يحرم على الحقيقة فى اليقظة ويحل فى النوم ، والمتعة بالطيف هى التى لها هذه الصفة . فإذا قيل ألا أراد بالجدوى ضروب التمتع والتلذذ ؟ قلنا هذا عدول عن ظاهر الكلام بغير ضرورة ، ولو أن مُقسماً أقسم على أن البحترى ما خطر بباله ماصرّحنا نحن به فى الأبيات الميمية ، وإنما عنى ما حكيناه ، لكان صادقا .

فأما قول الفرزدق :

إِذَا مَانَتْ عَنِ حَيِّتٍ وَإِنْ دَنْتَ فَأَبْعَدُ مِنْ بَيْضِ الْأُنُوقِ كَلَامُهَا
وَتَمْنَعُ عَيْنِي وَهِيَ يَقْطَعِي حَلَالَهَا وَيُبْذَلُ لِي عِنْدَ الْمَنَامِ حَرَامُهَا
فليس له بالمعنى الذى اختصصت به شبهة ، وإن كان قد أتى بلفظ
التحريم والتحليل ، وليس المعول على الألفاظ ، وإنما المعول على المعانى .
وإنما أراد الفرزدق أنها تمنع عينه وهى يقطع ، ماهو حلال من النظر إليها ،
والتسليم عليها ، وتبذل له عند منامه ماهو حرام من التمتع التام بها ، وهذا
ضد ما قصده أنا من المعنى ، لأن الفرزدق قرن التحليل باليقظة ،
والتحريم بالنم ، وأنا جعلت التحليل فى النوم ، والتحريم فى اليقظة .
وكل منا قصد مقصدا صحيحا ، لأنى أردت أن التمتع الذى نلته فى النوم
حلالا ، لو كان فى اليقظة لكان حراما .

والفرزدق أراد به أنها تمنع فى اليقظة من كلام وما أشبهه حلالا ،
وتبذل له عند المنام ماهو حرام . وإنما يريد أنه حرام لو كان فى اليقظة ،
فإن ما يكون فى النوم لا يكون حراما . فبان بهذا الشرح خلاف المعنى
الذى قصده لمعنى الفرزدق .

ولى من قصيدة أولها :

مَرَّتْ بِنَا بِمُصَلَّى الْخَيْفِ سَانِحَةً

كَمْ مَرَّةٍ زُرْتِنَا وَهَنَا عَلَى عَجَلٍ سَرَيْتَ فِيهَا وَمَا أَسْرَتْ مَطَايِكُ
حَتَّى التَّقَيْنَا عَلَى رَغَمِ الرُّقَادِ وَمَا ذَاكَ اللَّقَاءُ سِوَى وَسْوَاسٍ ذِكْرَاكَ

ولى من قصيدة أولها :

هِيَ الدَّارُ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ هَوَاهَا

زَارَتْ وَسَادَى فِي الظَّلَامِ خَرِيدَةً أَرَاهَا الْكَرَى عَيْنِي وَلَسْتُ أَرَاهَا
تَمَانِعُ صُبْحًا أَنْ أَرَاهَا بِنَاطِرِي وَتَبْدُلُ جُنْحًا أَنْ أُقْبِلَ فَأَهَا
وَلَسَا سَرَتْ لَمْ تَحْشَ وَهْنًا ضَلَالَةً وَلَا عَرَفَ الْعُدَّالُ كَيْفَ سُرَاهَا
فَمَنْ ذَا الَّذِي مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ أَتَى بِهَا وَمَنْ ذَا عَلَى شَرْبِ الْمَزَارِ هَدَاهَا
وَقَالُوا عَسَاهَا بَعْدَ زُورَةٍ بَاطِلٍ تَزُورُ بِلَا رَيْبٍ فَقُلْتُ عَسَاهَا

معنى البيت الأول : أن الكرى خيل لي أن أراها بعيني ، وإن كنت

لا أراها على الحقيقة .

ولى من قصيدة أولها :

دَعِ الْهُوَى يَتَّبِعُهُ الْآخِرُ

لَا طَرَقَ الطَّيْفُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي أَنَّهُ يَطْرُقُ
حَدَّثَ قَلْبِي وَهُوَ طَوْعُ الْهُوَى مُحَدَّثٌ فِي النَّوْمِ لَا يَصْدُقُ
وَكَيْفَ لَوْ لَا أَنَّهُ بَاطِلٌ يَسْرِي وَمَا سَارَتْ الْأَيْنُقُ
زَارَ وَمَا زَارَ سِوَى ذِكْرِهِ وَبَيْنَنَا دَاوِيَةٌ سَمَلَقُ

إنما قلت : لَا طَرَقَ الطَّيْفُ ، لأنني بنيت هذه القصيدة على ذم اتباع

الهُوَى ، والآنخرط في سلكه . ومن عَزَفَ عن الهوى والآنخرط

في سلكه ، لا فائدة له في طروق الطيف . وإنما جعلتُ هذا المحدث لا يصدق في النوم خاصة^(١) ، لأن النوم هو السبب في كذب ظنون النائم ، وفساد أحاديثه لنفسه واعتقاداته .

وقد تقدم أن قولي «زار وما زار سوى ذكره» : أجود ، وأشدّ تحقيقاً من كل نظير له في هذا المعنى .

ولى في هذا المعنى من قصيدة أولها :

لَمَنْ ضَرَمَ عَلَى الْيَفَاعِ تَعَلَّقَا
وَقَدْ زَارَنِي بَعْدَ الْهَدُوءِ خَيَالُهُ فَجَدَّدَ مِنْ شَوْقِي وَمَا كَانَ أَخْلَقَا !
فَلِلَّهِ مَرْدُودٌ إِلَى طُرُقِهِ وَمَا كُنْتُ أَرْجُو مِنْهُ بِاللَّيْلِ مَطْرَقَا
ولى من قصيدة أولها :

قَدْ كَانَ يُدْرِكُ عِنْدَ كُنِّ السُّوْلِ
وَطَرَقَنِي وَهَنًا بِأَجْوَا زِ الرُّبَا
لَمْ يَأْتِ إِلَّا وَالصَّبَاحُ رَسُولُ
يَالَيْتَ زَاثِرَنَا بِفَاحِمَةِ الدُّجَى
وَكَثِيرُهُ غَبَشَ الظَّلَامَ قَلِيلُ
فَقَلِيلُهُ وَضَحَ الضَّحَى مُسْتَكْثَرُ
فَجَمِيعُ مَاسَرِّ الْقُلُوبِ يَزُولُ
مَاعَابُهُ ، وَبِهِ الشَّرُّورُ ، زَوَالُهُ
هذه الأبيات لا فقر بها إلى تفسير وتنبية ، كما لا حاجة بها إلى مدح وإطراء .

ولى من قصيدة أولها :

مَاقَرَبُوا إِلَّا لِبَيْنِ نُوْقَا

(١) في الأصل : حاضرة ، ولا معنى لها هنا .

طَرَقَ الْخَيَالُ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ النَّوَى هَذَا الْخَيَالُ لَنَا هُنَاكَ طَرُوقًا
لَمْ أَذَرِ مَا هُوَ غَيْرَ أَنَّ طَرُوقَهُ أَغْرَى بِشَائِقَةِ الْقُلُوبِ مَشُوقًا
وَلَى مِنْ قَصِيدَةِ أَوْلَاهَا :

وَزَوْرٍ زَارَنَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ وَقَدْ مَلَأَ الْكَرَى مِنَّا الْعُيُونَا
يُرِينِي أَنَّهُ ثَانٍ وَسَادِي مُضَاجَعَةً وَزَوْرٌ مَا يُرِينَا
نَعِمْتُ بِبَاطِلٍ وَيَوَدُّ قَلْبِي وَدَادًا لَوْ يَكُونُ لَنَا يَقِينَا
وَلَى مِنْ قَصِيدَةِ أَوْلَاهَا :

إِنَّ عَلَى رَمْلِ الْعَقِيقِ خَيْمًا

نَبَا فَمَا نَأْمُلُ فِي لِقَائِنَا ذَاتَ الثَّنَايَا الْغُرِّ إِلَّا الْخُلَمَا
أَهْوَى وَإِنْ كَانَ لَنَا تَعَلَّةٌ طَيْفًا يُوَافِي مِنْكُمْ مُسَلَّمَا
يَبْذُلُ لِي مِنْ بَعْدِ مَاضٍ بِهِ وَشَافِعِي النَّوْمُ : الْعِذَارَ وَالْفَمَا
وَجَادَ حِلًّا وَالذُّجَى شِعَارُنَا بِنَائِلٍ لَوْ كَانَ صُبْحًا حَرَمًا
حُبٌّ بِهَا إِمَامَةٌ مَأْمُونَةٌ وَزَوْرَةٌ يُزِيحُ فِيهَا التَّهْمَا
وَجَدْتُ فِيهَا كُلَّ مَا أَحْبَبْتُهُ لَكِنَّ وَجْدَانًا يُضَاهِي الْعَدَمَا
مَاعَلِمْتُ نَفْسِي بِمَاذَا حُبِّيتُ وَلَا الَّذِي جَادَ عَلَيْهَا عَلِمَا

معنى البيت الأول : أن التباعد بيننا قويت أسبابه ، وأرتجت أبوابه ،

إما لبعد المسافات ، أوقوة الوشايات ، حتى مانطمع في تلاقٍ إلا في النوم ،
وهذه غاية اليأس من اللقاء والاجتماع .

ولقولى : « وشافعى النوم » من البلاغة ، مالا أخشى جرده وردّه ،
ولما كان الشافع يقرب بعيد الحاجة ، ويظفر بنجاحها ، وكان النوم كذلك
في طيف الخيال ، ولا سبب له سواه ، سُمي النوم شافعا في الزيارة ، وبلوغ
المراد منها .

وقولى « وجاد حِلًّا والدَّجَى شعارنا » : نظير قولى :

« حُبَّ به من باذل لى حلاله وفادِ بذالك البذلِ منه حرامه^(١) »

وقد تقدم بيانه ، وأنه غريب لأعرف سابقا إليه . ومعنى قولى :

حُبَّ بها الإمامة مأمونة

يحتمل أن الإثم والعار فيها مأمونان ، ويحتمل أنها غير متهمة ولا مستراب
بها . وأكدت ذلك بقولى :

وزَوْرَةٍ يُزِيحُ فِيهَا التَّهْمَا

ومعنى البيت الأخير : أن العلم مفقود في طيف الخيال ، ممن طرقه الخيال ،
وممن ذلك الخيال مثال له ، ومتصور به .

ولى وهو ابتداء قصيدة :

بَلَّغْنَا لَيْلَةَ الشَّغْبِ^(٢) عَجَالًا مُنِيَةَ الْقَلْبِ

تَلَاقَيْنَا كَمَا شِينَا بِإِلَاحِمْ مِنَ الرَّكْبِ

(١) تقدم هذا البيت في صفحة ٩٣ .

(٢) الشغب : مكان بالبادية بين المدينة والشام .

وَطِيفَ طَافَ مِنْ ظُمْنَا وَالْإِصْبَاحُ فِي الْحُجْبِ
جَفَتَ عَيْنِي وَجَاءَتْ فِي دُجَى اللَّيْلِ إِلَى قَلْبِي
وَزَالَتْ غِبَّ مَا زَارَتْ وَمَا قَلْتُ لَهَا حَسْبِي
وَوَلَّتْ لَمْ تُنِلْ شَيْئًا مِنَ الْغَمِّ سِوَى حُبِّي

نظيرُ قولي: « جَفَتَ عَيْنِي ... البيت » قولي: « موّه قلبي على ناظري ».

وقولي :

وَمَا ضَرَّ مَنْ يَأْتِي زِيَارَةَ مُقَلَّتِي مُجَاهَرَةً لَوْ زَارَ مُسْتَخْفِيًا قَلْبِي
وقد تقدم ذلك .

ولي وهى قطعة مفردة :

وَزَوْرٍ زَارَنِي وَاللَّيْلُ دَاجٍ فَعَلَّنِي بِبَاطِلِهِ وَوَلَّى
سَقَانِي رِيْقَهُ مَنْ كُنْتُ دَهْرِي مَذُودًا عَنْ مَرَاشِفِهِ مُحَلًّا^(١)
وَأَوَّلَى فَوْقَ مَا أَهْوَاهُ مِنْهُ وَمَا يَدْرِي بَمَا أُعْطِيَ وَأَوَّلَى
وَأَرْخَصَ قُرْبَهُ بِاللَّيْلِ مَنْ لَوْ سَأَلْنَا قُرْبَهُ فِي الصُّبْحِ أَغْلَى
نَعِمْنَا بِالْحَبِيبِ دُجَى فَلَمَّا تَوَلَّى وَاضْمَحَلَّ لَنَا اضْمَحَلًّا
فَإِنْ يَكُ بَاطِلًا فَسَقِيمُ حُبِّ أَفَاقَ بِهِ قَلِيلًا أَوْ أَبَلًّا
تَلَاقٍ لَا يُخَافُ وَلَا نُبَالِي بَمَا أُوحَى بِهِ وَعَلَيْهِ دَلًّا
وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ يُطِيعُ أَمْرِي لَمَا كَشَفَ الظَّلَامَ وَلَا تَجَلَّى

(١) أصله محلاً ، بالهمز ، اسم مفعول من حلّاه عن الورد : أى منعه .

إنما قلت إنه تلاق لا يُخاف لمن دل عليه ووشى به ، لأنه لا قدرة لأحد.... (١) .

[ولى من أبيات... (٢)] : نأيا فمن دون اللقاء تنائفُ

حَلَمْتُ بِنَا وَاللَّيْلُ مُرْخٍ سُدُولُهُ فَأَلَا وَضَوْهُ الصُّبْحُ فِي الْعَيْنِ مُشْرِقُ
وَوَدِدْتُ مِطَالًا عَنْ لِقَاءِ مُصَحِّحٍ وَأَوْسَعَنَا مِنْكَ اللَّقَاءُ الْمُلَزِّقُ
فَأَحْبَبُ بِهِ مِنْ طَارِقٍ بَعْدَ هَذَا عَلَى نَشْوَةِ الْأَحْلَامِ لَوْ كَانَ يَصْدُقُ
وَلَمَّا تَفَرَّقْنَا وَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا هُنَاكَ لَوْ لَا النَّوْمُ إِلَّا التَّفَرُّقُ
تَطَايَرَ وَصَلْ غَرَّانَا فَكَأَنَّهُ رِدَاءٌ سَحِيقٌ أَوْ مُلَاءٌ مُشْبِقُ

إن حكم حاكم : ما في وصف من أوصاف الطيف يفضل ويقدم ؟
فما يتعدى هذه الأبيات ، والتي تقدمتها بلا فضل . ومعنى «لَوْ كَانَ يَصْدُقُ» :
التمنى لصدقه ، والتلفُّف عليه ؛ وليس بشرط ، لأننى أحبه على كل حال ،
صدق أو كذب ، وإنما تمنيت صدقه ، وجرى مجرى قول البحترى :

فَتَبَسَّمتُ عَنْ وَاضِحَا تِ لَوْ لُثِمْنَ عَذَابِ

وما شَرَطَ ، بل تمنى وتلف . وقد شرحت هذا المنهج في بعض كلامي ،
وأوضحته واستوفيته ، ورددت على من اشتبه عليه .

وقولى : ... ولم يكُ بَيْنَنَا هُنَاكَ لَوْ لَا النَّوْمُ إِلَّا التَّفَرُّقُ

(١) كذا في الأصل . وبقية العبارة ساقطة .

(٢) وضعنا هذا الابتداء ، قياساً على قول الأبيات في نثره الكبير .

معناه : ما كنا على الحقيقة إلا مفترقين غير مجتمعين . وإنما خيلَ النومُ
الاجتماعُ غرورا وزورا ، فما حصلنا بعده إلا على ما كنا في الحقيقة عليه .
وهذا لطيف مليح .

ولى وهى قطعة مفردة :

فَدَيْتُهُ مِنْ زَائِرٍ زَارَنِى وَاللَّيْلُ مُسَوِّدُ الْجَلَابِيبِ
زَارَ وَفِيهِ كُلُّ مَا نَبْتَغِي فِي النَّاسِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ طِيبِ
وَلَمْ يَضِرْهَا أَنَّهَا زَوْرَةٌ لِعَازِبِ الْآرَاءِ مَكْذُوبِ
بَاطِلَةٌ رَوَّتْ لَنَا غُلَّةً وَالْحَقُّ لَمْ يَأْتِ بِمَطْلُوبِ
لَوْلَا الْكَرَى مَا جَادَلَنِى بِالْمُنَى مُعَشَّقٌ يَعَشَّقُ تَعْذِيبِ
وَكَيْفَ لَا أَهْوَى لَذِيذِ الْكَرَى مُحِبًّا جَاءَ بِمَحْبُوبِ

ولى وهى قطعة مفردة :

فَلَوْ شِئْتَ لَمَّا أَزْمَعَ الْحَى رَوْحَةً أَشْرَتْ إِلَيْنَا بِالْبَنَانِ الْمُقَمَّعِ
فَمَا بَانَ مَاضٍ بَانَ وَهُوَ مُودَعٌ وَقَدْ بَانَ كُلُّ الْبَيْنِ غَيْرَ مُودَعِ
وَصَدَّكَ قَوْمٌ عَنْ زِيَارَةِ مُقَلَّتِي فَلَمْ تَزُورِ الْقَلْبَ سَاعَةً مَضْجَعِي
وَحَازَرْتَ وَصْلًا يَعْرِفُ النَّاسُ حَالَهُ فَمَا ضَرَّ مِنْ وَصْلٍ وَلَا أَحَدٌ مَعِي

قد تقدم نظائر قولى :

وَصَدَّكَ قَوْمٌ عَنْ زِيَارَةِ مَضْجَعِي (١)

(١) الصواب : مقلتي ، وقد مر قريبا .

من شعري، فإنني^(١) كررته ، وقد بينت سبقي إليه ، والوصل الذي يعرفه
الناس ، ويشعرون به إن كان محذورا ، فوصل الطيف غير محذور . ومعنى
« ولا أحد معي » : أى لا يشعر بى ، ولا يعرف حالى .

ولى وهى قطعة مفردة :

مَنْ زَارَ مَا أَجَبْتَهُ !	مَا زَارَ إِلَّا فِي سِنَتِهِ
عَنْ لَنَا فِي غَلَسٍ	فَلَا عَدِمْنَا عَنْنَهُ
ذُو دَدَنِ وَإِنَّمَا	نَعَشَقُ مِنْهُ دَدَنَهُ
يَهْجُرُنِي مُجَاوِرًا	يُسْمِعُ قَوْلِي أُذُنَهُ
حَتَّى إِذَا حَلَّ النَّوَى	حَدَا إِلَى ظُعْنِهِ
لَمْ يَأْتِ إِلَّا فِي دُجَى	وَصُبْحِهِ مَا أَمِنَهُ
وَزَارَنِي فِي وَطَنِي	مُخَلِّيًا لِي وَطَنَهُ
ثُمَّ أَطَابَ وَسَنِي	لَمَّا أَطَارَ وَسَنَهُ
أَبْدَلَنِي هِجْرَانَهُ	بِزُورَةٍ مُؤْتَمَنَهُ
بَاطِلَةً لَكِنَّهَا	مِنْ الْمَسِيءِ حَسَنَهُ
مَا أَحْسَنَ النَّصْرَ عَلَى	مُقَاطِعِ مَا أَحْسَنَهُ
فَلَيْتَهَا زِيَارَةً	تَكُونُ مِنْهُ دَيْدَنَهُ
مَا بَعَثَ الْوَأَشَى إِلَى	مَنْ نَحْنُ فِيهِ ظَنَنَهُ

وَلَا رَمَى ذُو فَطْنٍ إِلَيْهِ يَوْمًا فِطْنَهُ
فَبِتُّ لَيْلِي كُلَّهُ أَضْمُ مِنْهُ غُصْنَهُ
وَالْتِمُّ الصَّدْغَ الَّذِي عَقَرَبَهُ وَزَرَفَنَهُ
لَوْلَا الدُّجَى يَشْفَعُ لِي لَمَّا لَقِيتُ مِنْهُ
جَادَ بِهِ مُسْتَرْخَصًا وَمَا نَقَدْتُ ثَمَنَهُ
فِي سَاعَةٍ كَأَنَّهَا لَذَاذَةٌ أَلْفُ سَنَةٍ
وَأَصَلَ فِيهَا سَكَنٌ بَعْدَ فِرَاقٍ سَكَنَهُ

السُّنَّة: ابتداء النوم . ويحتمل قولي : « مازار إلّا في سِنَةٍ » وجهين :

أحدهما : أنه مازار لجبنه وشدة خوفه ، إلّا زيارة هي تخييل ، وغير تحقيق .

والوجه الآخر : أنه يريد أنه مازار إلّا في الليل ، فعبر عن الليل بما

لا يكون في الأغلب إلّا فيه ، والليل يَسْتَرُ بظلمته الجبان الخائف . فأما

الدَّدَن : فهو اللعب ، والمحبوب يُهْوَى جِدُّهُ ولعبه وجميع أحواله .

والبيت الذي أوله : « لم يأت إلّا في دَجَى » : نظير البيت الأول ، ومفسر له .

وقولي : « بزورة مؤتمنه » : قد مضى تفسير نظيره . والديدن : العادة .

وقد تقدمت نظائر قولي : « مابعث الواشى » ، والبيت الذي يليه . ومن

عبر عن معنى متداول ، بأحسن عبارة وأبلغها ، فكأنه مبتديه ومنشيه ، وما

يضره أن سبق إليه ، إذا كان منفردًا بإحسان العبارة عنه . فحظ العبارة

في الشعر ، أقوى من حظّ المعنى .

ولى وهي قطعة مفردة :

إِنْ كَانَ طَيْفُكَ زَارَنَا فَلَقَدْ تَجَنَّبْنَا طَوِيلًا
عَلَّيْكُمْ بِطُرُوقِكُمْ وَمَحَالِكُمْ قَلْبًا عَلِيلًا
مَا كَانَ يَرْضَى بِالْكُثِّ يَرِوْ بَعْدَ كَمْ رَضَى الْقَلِيلًا
فَهُوَ الْغَدَاةَ كَفَاقِدِ أَحْبَابَهُ نَدَبَ الطُّلُولَا
أَوْجَدْتُمُوهُ إِلَى الْأَمَا نِي فِي لِقَائِكُمُ السَّبِيلَا

معنى «رضى القليل» : أنه قنع بالطيف الذى لا حقيقة له ، وتشبيه الطيف بطول الديار ، ورسوم الأحباب ، فى غاية الحسن والإضافة .

قد يحتمل البيت الأخير وجهين . أحدهما : أن زيارة الطيف إنما هى أمانى وأحاديث النفس ، فأوجدتموه سبيلا إلى هذه الأمانى .

والوجه الآخر : أنكم أوجدتموه بالطيف ، السبيل إلى تمنى لقائكم الحقيقى ، وأذكرتموه ذلك ، وشوقتموه إليه . ومن مליح ما نظم فى قناعة الحب بالطيف ، على قلته ونزارته ، قول الحسين بن الضحاك الخليع :

وما فى تعرّضِ طَيْفِ الْخِيَا لِوَالْهَجْرِ حَظُّكَ مِمَّنْ تُحِبُّ؟
غَنَاءٌ قَلِيلٌ وَلَكِنِّى تَمَتَّيْتُهِ بِقُنُوعِ^(١) الْمَحِبِّ

ولى أيضا وهي قطعة مفردة :

(١) القنوع : ذات السؤال أو السؤال .

أَلَمْ خَيَّلْ مِنْ أُمِيمَةٍ طَارِقُ وَمِنْ دُونِ مَسْرَاهُ اللَّوَى وَالْأَبَارِقُ
 أَلَمْ بِنَا لَمْ نَذَرِ كَيْفَ لِمَامِهِ وَقَدْ طَالَ مَا عَاقَتَهُ عَنَّا الْعَوَائِقُ
 فَلِلَّهِ مَا أَوْلَى الْكَرَى فِي دُجْنَةٍ جَعَتَهَا الدَّرَارِي طُلْعًا وَالْبَوَارِقُ
 نَعِمْنَا بِهِ حَتَّى كَأَنَّ لِقَاءَنَا وَمَا هُوَ إِلَّا غَايَةُ الزُّورِ صَادِقُ
 فَيَا زَائِرِي فِي اللَّيْلِ أَلَّا وَصُبْحُنَا تُسَلُّ عَيْنَانَا مِنْهُ بَيْضُ دَوَائِقُ
 وَكَيْفَ ارْتَضَيْتَ اللَّيْلَ وَاللَّيْلُ مُلْبِسُ

تَضِلُّ بِهِ عَنَّا وَعَنْكَ الْحَقَائِقُ
 يُخَيِّلُ لِي قُرْبًا وَأَنْتَ بِنَجْوَةٍ وَيُوهِمُنِي وَصْلًا وَأَنْتَ مُفَارِقُ
 فضل هذه الأبيات واستواء نسجها، مما يشهد به صاحب، والعدو الماقت.
 ومعنى البيت الرابع، أن التخييل قوى واشتد، حتى لم يك بينه وبين
 الحق الصحيح فرق، فلذلك تضاعفت المتعة، وتكاثفت النعمة واللذة.
 ولى أيضا في ذم الطيف:

(١)

وقد قال الكمي (٢):

فَلَمَّا انْتَبَهْتُ وَجَدْتُ الْخِيَا لَ أُمَانِي نَفْسِي وَأَفْكَارَهَا

(١) سقط من المخطوطة ما أورده المؤلف في هذا الموضع.

(٢) انظر الموازنة للآمدى لوحة رقم ١٣٤ مصورة دار الكتب المصرية (رقم

قال الآمديّ : أي وجدت الخيالَ أنا الجالب له بأمانيّ نفسي . وهذا ذلك المعنى بعينه .

قال : وقد أورد أبو تمام المعنى على حذو ما قاله جبران العود^(١) سَوَاء ، فقال :
استزَارَتْهُ فِكْرَتِي فِي الْمَنَامِ فَأَتَانِي فِي خُفْيَةٍ وَآكِتَتَامِ
فذكر أن فكرته أتمته بالطيف زائرا ، كما قال جبران العود :
« أَتَاكَ بِهِ حَدِيثُ نَفْسِكَ »

قال : ووصل أبو تمام بيته بأن قال :
الْيَّيَّالِي أَحْفَى بِقَابِي إِذَا مَا جَرَحَتْهُ النَّوَى مِنَ الْيَّامِ^(٢)
يَالَهَا لَذَّةً^(٣) تَنَزَّهَتْ الْأَرْضُ وَاحُ فِيهَا سِرًّا مِنَ الْأَجْسَامِ
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ
ثم قال الآمديّ : وليس لهذه الأبيات حلاوة ، ولا عليها طلاوة .
قال سيدنا أدام الله علوه :
وأقول : إن لبيتي أبي تمام إحسانا لا يُجْحَد ، وفضلا لا ينكر ، ومن
مدحها فلم يضع المدح إلا في موضعه .
وقول الآمديّ : إنه أخذ معناه من قول جبران العود^(٤)

(١) من أول هذا الكلام إلى قوله في ص ١٠٧ « وليس لهذه الأبيات حلاوة ولا عليها طلاوة » وارد بالموازنة لوحة ١٣٤ ، ١٣٥ .
(٢) الموازنة : زورة (لوحة رقم ١٣٥) ١٢٦٦٢ .
(٣) تقدمت الإشارة إلى هذه الأبيات ص ٢١ من هذا الكتاب .
(٤) سقط من المخطوطة ، ما أورده المؤلف في هذا الموضع .

الجَسَد والجَسَد : الزعفران . والثوب المُجَسَّد : المصبوغ بالزعفران .

والبيت الثالث لطيف المعنى ، لأن العجب كله في اهتداء زائر ليلا وهو لا يهتدى نهارا .

والبيت الرابع فيه ما تراه من رَشَاقَة ومَلاحَة .

ومعنى البيت الخامس : أن العَدَم الذى كان فى يدي قبل النوم : هو الذى معى بعده ، فلا يَدَلَّكَ علىّ ، وأنا كما كنت .

والبيت الأخير قد تقدمت له نظائر فى شعري ، وزيارة القلب : هى التخيل والتمثيل ، وزيارة العين : هى الحقيقة الصادقة .

ولى من قطعة مفردة :

أَيَا زَائِرًا بِاللَّيْلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْرِى

وَهَلْ زَائِرٌ بِاللَّيْلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْرِى ؟!

وَيَا مُشَبِّهًا بِالْفَجْرِ ضَوْءَ جَبِينِهِ

أَبْنِ لِي قَلِيلًا كَيْفَ رُوِّعْتَ بِالْفَجْرِ!

تَجُودُ عَلَيْنَا وَالْمَعَاذِيرُ جَمَّةٌ وَتَبْخُلُ بِالْجَدْوَى وَأَنْتَ بِلَا عُدْرٍ

وَمَا تَعَاتَبْنَا عَلَى الْهَجْرِ صُغْتُ لِي دُنُوكَ مِنْ بَعْدٍ وَوَصَّلَكَ مِنْ هَجْرٍ

وَأَوَلَيْتَ بَرًّا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ وَاصِلٍ

إِلَيْهِ وَإِنْ أَغْنَى نَصِيبٌ مِنَ الشُّكْرِ

البيت الثانى : كأنه غريب المعنى .

ومعنى البيت الثالث: إنك تجود ليلا ، والمعاذير فى الليل واسعة ، لمشقة
الزيارة فيه ، وتبخل نهارا ، والعذر مرتفع .

ومعنى البيت الرابع : إتنى عاتبتك على الهجر ، فأوهمتنى وصلا وقربا
لأصل لهما .

ومن مليح العبارة عن هذا المعنى :

... صُغْتُ لى دُنُوكَ مِنْ بَعْدِ وَوَضَّلَكَ مِنْ هَجْرٍ^(١)

ولى أيضا :

ضَنَّ عَنِّي بِالزَّرِّ إِذْ أَنَا يَقْظَا نُ وَأَعْطَى كَثِيرَهُ فِى مَنَامِى
زَوْرَةً عَاجَلَتْ وَمَاهِىَ إِلَّا الزُّ وَرُسُقَمًا مُبَرِّحًا مِنْ سَقَامِى
وَالْتَقَيْنَا كَمَا اشْتَهَيْنَا وَلَا عِىَ بَسِوَى أَنْ ذَاكَ فِى الْأَحْلَامِ
وَإِذَا كَانَتْ الْمُلَاقَاةُ لَيْلًا فَالْإِلَى خَيْرٍ مِنْ الْأَيَّامِ
وَبَلَغْتُ الْمَرَامَ آيسَ مَا كُنْتُ عَلَى النَّأْيِ مِنْ مُبْلُوغِ الْمَرَامِ
ولى من قطعة مفردة :

وَسَدَّنِى كَفَّهُ وَعَانَقَنِى وَنَحْنُ فِى سَكْرَةٍ مِنَ الْوَسَنِ
وَبَاتَ عِنْدِى إِلَى الصَّبَاحِ وَمَا شَاعَ التَّقَالُّ لَنَا وَلَمْ يَبِنْ
خَادَعَنِى ثُمَّ عَدَّ خُدْعَتَهُ لِمُقْلَتِى مِنْهُ مِنَ الْمِنَنِ

فَلَيْتَ ذَاكَ اللِّقَاءَ مَا زَالَ أَوْ

لَيْتَ خَيَالًا فِي النَّوْمِ لَمْ يَكُنْ
فَإِنْ تَكُنْ زُورَةً مُمَوَّهَةً فَقَدْ أَمِنَّا فِيهَا مِنَ الظَّنِّ
وَزَارَنِي زُورَةً بِلَا عِدَةٍ وَمَا أَتَى وَقْتُهَا وَلَمْ يَحِنْ
وَإِنْ تَكُنْ بَاطِلًا فَكَمْ بَاطِلٌ ^(١) عَاشَ بِهِ مَيِّتٌ مِنَ الْحَزَنِ
وَلِي أَيْضًا وَهِيَ قِطْعَةٌ مَفْرَدَةٌ :

بَأْبَى زَائِرًا أَتَانِي جُنْحًا
زَارَنِي ضِنَّةً بِمَوْضِعِهِ الْمَا
لَمْ يُنَلِّنِي شَيْئًا وَعِنْدَ رُقَادِي
صَدَّ صُبْحًا وَالْعَيْنُ مَنَى يَقْظَى
لَاوِدَادًا مِنْهُ فَعَنَى وَمَنَى
لَكَ قَلْبِي بِخُلَا عَلَى وَضْنَا
أَنَّهُ جَاءَنِي فَأَغْنَى وَأَقْنَى
وَسَرَى وَاصِلًا وَعَيْنِي وَسَنَى
لِي أَنَّهُ أَتَانِي وَهَنَا
ثُرُرُ بَعِي فَكَيْفَ يُوجِبُ مِنَّا !
لَيْسَ عِلْمًا ، وَلَمْ يَكُنْ لِي ظَنًّا
فَهِيَ تَعْلِيلَةٌ لِيَصَبَّ عِلِيلٌ
وَهِيَ مِثْلُ السَّرَابِ أَوْ مِثْلُ لَفْظٍ

فَارِغٍ مَالَهُ وَلَا فِيهِ مَعْنَى

معنى « وعند رقادي أنه جاءني فأغنى » : لأن الرقاد هو السبب

في تخيل ذلك وتمثله ، وإلا فهو مما لا أصل له . وأقنى : من القنية . ومعنى «هولاه عنها» : أن هذا الطيف مثاله لا يدري بما نحن فيه ، فلا منه له . وأنا أيضا غير عالم بذلك ، ولا ظان له ، لأن الظن إنما يكون مع قوة الأمارات للعاقل ، وليس في النوم إلا الاعتقادات الباطلة المبتدأة^(١) .

والبيت الرابع : قد جمع بين تشبيه الطيف بالسراب ، وهو واقع على ماتقدم ، وبين تشبيهه باللفظ الذي لا معنى له ، وهو أيضا واقع ، وقد تقدم نظائره .

ولى وهى قطعة مفردة :

وَلَيْلَةَ زُرْتِنَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ	عَلَى عَجَلٍ وَنَحْنُ عَلَى الْبَرَاقِ
وَجُدْتُ لَنَا بِتَقْبِيلِ الشَّيَا	عَلَى رَغَمِ الْوُشَاةِ وَبِالْعِنَاقِ
تَلَاقَيْنَا بِأَرْوَاحٍ ظُمَاءٍ	عَشِيَّةَ مَا لِأَجْسَادٍ تَلَاقِ
وَلَمَّا أَنْ تَفَرَّقْنَا رَجَعْنَا	إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْفِرَاقِ
فَإِنْ يَكُ بَاطِلًا لَاحَقَّ فِيهِ	فَكَمْ مِنْ بَاطِلٍ حُلُوِ الْمَذَاقِ

ولى من قطعة مفردة :

يَا مَنْ جَفَانِي فِي الضُّحَى	وَأَزَارَنِي وَهْنًا خِيَالَهُ
وَرَضِيَتْ مِنْهُ بَأَنْ تَرَى	عَيْنَايَ فِي سِنَةِ مِثَالَهُ
وَحَرِمْتُ مِنْهُ صَحِيحَهُ	فَهَوَيْتُ مُضْطَرًّا مُحَالَهُ

(١) كذا في الأصل . يريد الاعتقادات التي تنشأ بدون فكر سابق ولا روية .

هَلْ ضَامِنٌ مِنْكُمْ لَنَا ضَمِنَ الْجَمِيلِ ، فَمَا بَدَأَ لَهُ
ولى من قطعة مفردة :

تَزُورِينَنَا وَهَنَا وَلَوْ زُرْتِ فِي الضُّحَى

لَأَطْلَقْتِ مِنْ ضَيْقِ الْوَثَاقِ أُسِيرَا
وَمَا كَانَ مَا أَشْعَرْتَنِيهِ زِيَارَةً وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لِقَايَ زُورَا
وَجَاءَتْ إِلَى لَيْلِي الطَّوِيلِ فَخَيَّلَتْ لِعَيْنِي أَوْ قَلْبِي فَعَادَ قَصِيرَا
لِقَاءَ شَفَى بَعْضِ الْغَلِيلِ وَلَمْ أَكُنْ

عَلَيْهِ وَإِنْ كُنْتُ الْقَدِيرَ قَدِيرَا
وَمَا كَانَ إِلَّا فِكْرَةً لِمُفَكِّرٍ وَذِكْرًا أَحْبَابًا مِنْهُ الظَّلَامُ ذَكُورَا
وَلَمَّا انْقَضَى مَا صِرْتُ إِلَّا كَأَنِّي

مَحَوْتُ بِضَوْءِ الصُّبْحِ مِنْهُ سُبُورَا

للبيت الثالث ما تمناه المتمنى ، من ملاحاة وسباطة .

ومعنى : ... ولم أكن عليه وإن كنت القدير قديرا
أننى لأقدر على إحضار الطيف متى شئت ، فقدرتى وإن كانت
واسعة ، تضيق عنه .

والبيت الأخير : فى غاية التحكم فى القلوب ، لأن انقضاء الطيف بغير أثر
ولا بقية ، وإضافة المحو إلى ضوء الصبح : فى موقعه وموضعه .

ولى من قصيدة أولها :

ما صيد قلبك [يوما] يا بنة الكحلل^(١)

وَزَارَنِي طَيْفُهَا وَهَنًا فَأَوْهَمَنِي زِيَارَةً كُنْتُ أَرْجُوهَا فَلَمْ أَتْلِ
هِيَ الزِّيَارَةَ مَعْسُولا تَطْعُمُهَا وَلَيْسَ فِيهَا لَنَا شَيْءٌ مِنَ الْعَسَلِ
لَوْ كَانَ طَيْفُكَ أَوْلَانَا زِيَارَتَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مَا وُلِّيَ عَلَى عَجَلِ
عَطِيَّةُ النَّوْمِ مَنَعٌ لَا انْتِفَاعَ بِهَا لِلْعَاشِقِينَ وَجُودُ الطَّيْفِ كَالْبَخَلِ
فَكَيْفَ جِئْتُ إِلَيْنَا غَيْرَ سَائِرَةٍ عَلَى جَوَادٍ وَلَا حِدَجٍ عَلَى جَمَلِ
وَكَيْفَ لَمْ تَوْقِظِي صَحْبِي وَقَدْ هَجَعُوا

بِرَنَّةِ الْحَلِيِّ أَوْ مِنْ فَعْمَةِ الْحُلَلِ

نظير البيت الذى أوله « عطية النوم منع » من شعري :

زِيَارَةُ الطَّيْفِ ضَرْبٌ مِنْ قَطِيعَتِهِ وَوَصْلٌ مِنْ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ هِجْرَانُ
وَفَعْمَةُ الطَّيْبِ : تَضَوُّعُ رَائِحَتِهِ . وَأَرَدْتُ فَعْمَةَ طَيْبِ الْحُلَلِ ، فَإِنْ
الْحُلَلِ فِي نَفْسِهَا لَا فَعْمَةُ لَهَا .

ولى من جملة قصيدة ، وهى من قولى المتقدم :

طَيْفُكَ مَا أَبْصَرُهُ يَقْطَعُ ذَاتَ الْأَبْرِقِ
خَيْلَ أَنَا نَلْتَقِي زُورًا وَلَيْسَ نَلْتَقِي

(١) كذا فى الأصل ، وفيه كلمة ساقطة ، ولعلها : يوما .

وَأَفَى إِلَيْنَا فِي الْكَرَى	يُثْنَى إِلَيْهِ عُنَى
وَأَنْجُمُ اللَّيْلِ لَهَا	شَعْشَعَةٌ فِي الْمَشْرِقِ
كَأَنَّهَا سَاهِرَةٌ	حَائِرَةٌ لَمْ تَطْرُقِ
عَيْنُ رَقِيبٍ مُشْفِقٍ	مَوْكَلٍ بِالْحَدَقِ
أَعْجَبَ بِهَا زِيَارَةٌ	لِعَانِفٍ لَمْ يَرْفُقِ
بَاطِلَةٌ كَأَنَّهَا	هُنَاكَ مِنْ مُحَقِّقِ
كَأَنَّ شَوْقًا قَادَهَا	وَهَى كَمَنْ لَمْ يُشَقِ
بِتُّ بِهَا أَغْلُوطَةً	أَمْسِكُ مِنْهَا رَمَقِي
وَمُخْفِقِي كَأَنَّهُ	مِنْ طَمَعٍ لَمْ يُخْفِقِ
لَمَّا دَنَا الصُّبْحُ إِلَى	وَسَادِهِ كَالْيَتَقِ
أَضْحَى يَعْضُ كَفَّهُ	عَلَى الشَّجَى مِنْ حَنْقِ

[خاتمة]

قال سيدنا أدام الله علوه :

قد اتهمنا إلى حيث يجب قطع الكتاب عليه .
وقد أخرجت من ديوان شعري في وصف الطيف ثلاث مئة وخمسة
وعشرين بيتا ، وهذا أكثر عددا مما أخرجناه للبحثري ، على شغفه بوصف
الطيف ، ولهجه به ، فإن الذي أخرجناه له مئتان ونيف وعشرون بيتا ،
بل هذا المبالغ ، الذي اختصصنا به ، يزيد عددا على كل ما سطر في هذا المعنى
لمكثر من الشعراء .

فأما التجويد فالتقدير يُخرجه ، والفطنة مع الإنصاف الحكم فيه ،
ولعله إن اتفق منا فيما يمدّه الله تعالى من مهلة ، ويطيله من مدة ، نظم شيء
في هذا المعنى ، ضمناه إلى هذا الكتاب ، وأضفناه إليه . والله تعالى وليّ
التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والحمد لله وحده ، وصلاته على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلامه .
فرغ من نسخه شهر ربيع الآخر ، سنة إحدى وتسعين وخمس مئة ،
بمدينة حلب ، حرسها الله تعالى ، وخلد ملك مالكمها .

فهرس الموضوعات

صحيفة	صحيفة
٦١ ما أخرجه المؤلف من شعر أخيه	٣ إهداء الكتاب .
الشريف الرضى فى طيف الخيال .	٥ تقديم .
٧٥ ما أخرجه المؤلف من شعره هو	١٣ مقدمة المؤلف .
فى طيف الخيال .	١٧ ما جاء فى طيف الخيال فى شعر
١١٥ خاتمة .	أبى تمام والبحترى .

فهرس الأعلام

٩٤ ، ٨٩	الآمدى : ٢١٠٢٠٠١٩٠١٨٠١٧
جران العود : ١٠٧٠١٠٦٠٢١٠٢٠	٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨
جرير : ٤٩٠٤٨٠٤٧٠٤٦	٤٦ ، ٣٩ ، ١٠٧٠١٠٦٠٤٧٠٤٦ .
الحمدوى : ٧١	ابن المعتز : ٣٠
الخايىع (الحسين بن الضحاك) : ١٠٥	أبو تمام : ١٠٦٠٢١٠٢٠٠١٧٠١٥
دعل الخزاعى : ٤٢	١٠٧
السجستانى (أبوعلى محمد بن العلاء) ٢٧	أشجع السلمى : ٨٨
السيد الحميرى : ٦٧	الأقرع بن معاذ : ٧١
الشريف الرضى : ٦١	امرؤ القيس : ٢٦
طرفة : ٤٧ ، ٤٨	البهترى : ٣٠٠٢٩٠٢٨٠٢٧٠٢٥٠٢٣
العباسة : ٦٧	٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨
عبد الصمد بن المعذل : ٧١	٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٠

الكميت . ١٠٦	عبيد بن الأبرص : ٦٧
مالك بن أسماء : ٤١	العتابي : ٤١
المجنون : ٦٦	عمرو بن قبيصة : ٦٦، ٦٥
محمد بن يحيى : ٦٧	للغلابي (محمد بن زكريا) : ٦٧
المرزباني (أبو عبد الله محمد بن عمران) ٦٧	الفراء : ٢٩
مسلم بن الوليد : ٤١	الفرزدق : ٩٥، ٩٤، ٧٠
النظار الفقعسي : ٦٧	قطرب : ٢٩
النمر بن قلوب : ٤١	قيس : ٧٠
يعقوب : ٢٩	قيس بن الخطيم : ٣٥، ٣٤

فهرس الأماكن

بطن وجرة : ٦٤	الأبارق : ١٠٦
حاجر : ٧٦	الأبرق : ١١٣
الحمى : ٩٢، ٢٠	الأبيرق ٨٧
حزوى : ٤٤	الأبواء : ٧٩
خبت : ٤٦	أذرعات : ٥٠
الخيف : ٩٥	إضم : ٤٦
ذوسلم : ٨٧	اللولى : ٧٥، ٦٠، ٥٥
رامتين : ٨٣	بصرى : ٥٠
الرقيتين : ٨٥، ٧٣	بطن نخلة : ٦٧

العلث : ٢٥	رملة : ٢٥
الغور : ٨٦	زرود : ٨٦، ٨٤، ٧٣
الغوير : ٨٧	الزوراء : ٨٢
فلج : ٥٢	الشام : ٤٦، ٣٧، ٢٣
القنان : ٦١	شبيث : ٣٢
كاظمة : ٨٣، ٨٢، ٨١	شغب : ٦١
كبيكب : ٦٧	الصفاح : ٦٧
مريخ : ٨٤، ٧٩	الطف : ٨٢
المطالي : ٢٥	عالج : ٥٤، ٣١
منى : ٨٣، ٧٩	عانة : ٤٩
نجد : ٨٦، ٨٢، ٧٣، ٣١	العراق : ٣١، ٢٣
وج : ٨١	عرق : ٨١
يبرين : ٥٢	عقيق : ٩٨، ٧٩، ٧٣
اليفاع : ٩٧	عكبرا : ٢٥

فهرس القواني

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	الحاء	الألف	
٤٦	جنجا	٩٦	أراها .
	الذال	١٠٠	وولى .
٦٩	زرو د .	٤٢، ٤١	يسراها .
٥٥	هاجد .	٧٥، ٢٥	الكبرى .
٨٤، ٨٣	هجود .	٥٠	مسرى .
٩٣، ٩٢	يعود .		الباء
٣٧	أفدا	٤٩	أعجب .
٥٥، ٥٤	إفسادا .	٦٩	تجنب .
٧٣، ٧٢	بردا .	١٠٥	تحب .
٢٩	الصداء	١٠١	الجلالبيب .
٦٨	تسهادا .	٧١	حبيب .
٣١	يهدى .	٩٩	القلب .
٥٦، ٤٣، ٤٢	المتباعد .	٤٢	يثوب .
٤٤	متباعد .	٤٩	مجانب .
٦٧	بميعاد .	٦٧	كبكب .
٥٥	البعاد .	٣٦	قريب .
٥٥	سعاد .	٤٩	حبيب .
٣١	عموده .	٦١	شغب .
٥٥	مطرو د .	٨٥	الشغب .
٥٦، ٥٥	الهجود .	٥٠	ركابى .
٨٢، ٨٠	الودى .		التاء
	الراء	٤٦، ٤٥	الأوقات .
٥٧	أسهرا .		الجيم
١١١	أسيرا .	٥٤	المهيج .
٥٨	اغتراره .	٨١	الفجاجة .

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	الضاد	١٠٦	أفكارها .
٧٣	أقضا .	٩٢، ٩١	أوكارى .
	العين	٤٤، ٤٣	بكر .
٢٧	أروع .	٦٨	جرى .
٥٠	هواجع .	٩٠	الحدارا .
٥١	هيجوع .	٧٢	خاطر .
٨٦	هزيما .	٢٤	ذعره .
٧٥، ٧٤	مضجعى .	٨٢	زائر .
١٠٢	المقمع .	٢٨	الزائر .
	الفاء	٧٦	الزائر .
٧٢	أوطف .	٥٧، ٥٦	زوار .
٥١	مطيفه .	٢٥	سرى .
٥٢	وكيف .	٥٨	سكرى .
٥١	وارفى .	٦٩، ٦٨	سهر .
٥٢، ٥١	يوانى .	٧٦، ٦٢، ١٦	الطائر .
٥٢	يكسوف .	٥٨	غروره .
	القاف	٧٧	الغمر .
١٠٦	الأبارق .	٥٧	فاتره .
١٠٣	الأبرق .	٦٠	قدر .
٩٧	أخلقا .	٦٩	القطر .
٥٢	الأرق .	٥٧	نهاره .
١١١، ١١٠	البراق .	١٠٨	هجر .
٤٢	تشوق .	٩٠	يزر .
١٠١	التفرق .	١٠٨، ٣٠	يسرى .
٥٢	تمزقا .	٢٦	يشهرا .
٤٥	خفوق .	٥٨	يقصر .
٢٢	سملق .		
٩٨	طروقا .		
٢٢	العشاق .		
١٠١	مشرق .		
٩٦، ٦٤، ٦٠	يطرق .		

السين

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	الميم		الكاف
١٠٧	اكتتام .	٢٣	ذكراك .
٧١	أنامها .	٧٩٠٧٨	خيالك .
١٠٧٠٢١	الأيام .	٩٥	مطايك .
٨٤	بهم .		اللام
٧٥	حرام .	٧١	أجلبها .
٦٠٠٥٩	حزومها .	٤٣	اضمحل .
٨٣	الحلم .	١١٢	أذل .
٩٨	الحلما .	٣٣	أوائله .
٣٢	خيام .	٨٩	باطله .
٨٧	سلم .	٩٧	تخييل .
٨٨	الظلام .	٢٢	الخيال .
٧٣	الغرام .	٨٢٠٨١٠٦٥٠٦٤	خيالا .
٩٥	كلامها .	١١١	خياله .
٩٣	لمامه .	٥٣	خيالها .
٤١	مسلمها .	٦٦	خياليا .
١٠٩٠١٠٨	منامى .	٨٧٠٥٣	رسولها .
٧٠	نيام .	٧٠	زالا .
١٧	نيم .	٥٤٠٥٣	سرباله .
	النون	٥٤	سهلا .
٤١	حصن .	١٠٥	طويلا .
١٠٣	سنة .	٦٧	كحل .
٩٨	العيونا .	٢٠	مشغول .
٣٤	معنى .	٢٠	المطالى .
٧٢	معنى .	٤١	المفاصل .
١٠٩	منى .	٧٩	نزلا .
١٠٩	الوسن .	٥٤	وصاله .
٨٦	يطرقنى .	٥٣	الوصال .
٨١	يقظان .	٤٧	وصلى .
٤٠	يهوانى .	٥٣	يفعل .

الصفحة	الهاء	القافية	صفحة	القافية
٣٠		به .	٧١	هجران .
٣٠		نبه .	٧١	الهجران .
٦٦		ينتبه .		وسناذا .
	الياء		٩١	وهنا .
٦٠		يوافينا .		

بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ، تم طبع كتاب :

« طيف الخيال »

للعلامة على بن الحسين بن موسى الملقب بالشریف المرتضى

مصححاً بمعرفة لجنة من العلماء برئاسة الشيخ أحمد سعد على

بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

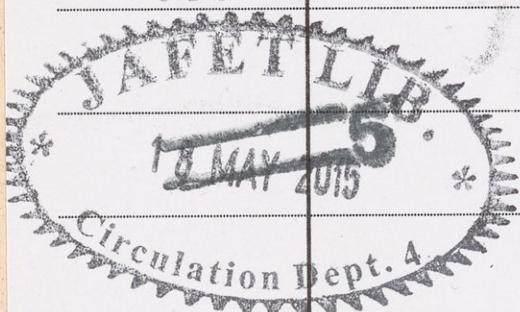
(١ / ٣ / ٣٠٠٠ / ١٩٥٥)

القاهرة في ١١ رجب ١٣٧٤ هـ
٦ مارس ١٩٥٥ م

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبي

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران

DATE DUE



002.7108:Sh53A:c.1

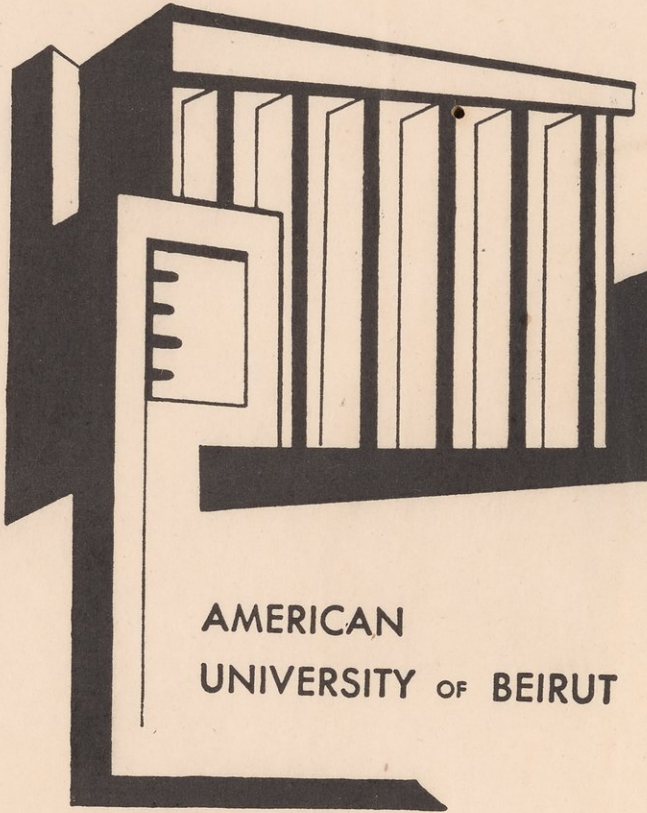
كيلاني، محمد سيد

طيف الخيال

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01037123



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

892.7108
Sh5725taA